

جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية



مذكرة ماستر

علوم إنسانية واجتماعية
علوم انسانية
تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط
رقم:

إعداد الطالب :

- شاوش مأمون

- يوم: 2025\06\04

عنوان المذكرة:

التعليم ومؤسساته في الدولة الحفصية
(627-981هـ/1227-1573م)

لجنة المناقشة :

بوخليفة قويدر جهينة	أ.م.أ	محمد خيضر - بسكرة -	مشرف و مقررا
حور رضا	أ.م.أ	محمد خيضر - بسكرة -	مناقشا
ومان حورية	أ.م.أ	محمد خيضر - بسكرة -	رئيسا

السنة الجامعية : 2024 - 2025

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقُلْ أَعْمَلُوا

فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

-الاهداء-

اعترافا بروح الجميل أهدي ثمرة جهودي الى الوالدين الكريمين

داعيا الله عز وجل ان يطيل في عمرهما

الى زوجتي الغالية وأبنائي "ايلافالاءالرحمان، أمان الله جوربوسند

الى خوتي فارسصاره، رباب، زكرياء، شيماء، النوي، عبد المطلب

الياسوأربج

الى كل زملائي طلبة ماستر تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط

وفي الأخير أرجوا من الله ان يجعل عملي هذا نفعا يستفيد منه جميع الطلبة المقبلين

على التخرج

- شكر و عرفان -

الحمد لله رب العالمين ، تبارك وتعالى له الكمال وحده
والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى الأنبياء والمرسلين
أحمد الله تعالى الذي بارك لي في إتمام بحثي هذا
وانطلاقاً من باب من لا يشكر الناس لا يشكر الله أتقدم بخالص
الشكر والتقدير
الى الأستاذة الفاضلة " **جهينة بوخلفي قويدر** " التي قومت وتابعت
وصوبت بحسن ارشادها في كل مراحل البحث والتي وجدت في
توجيهاتها حرص المعلم التي تؤتي ثمارها بإذن الله
والي كل الأستاذة الذين درسوني في قسم التاريخ
كما اشكر زملائي الطلبة والطالبات الافاضل الذين لم ييخلوا علينا
بشيء وكل من ساعدني وقدم لي يد العون واطمأن هذا العمل المتواضع
من قريب او من بعيد

مقدمة

مقدمة:

يُعدّ التعليم أحد الركائز الأساسية التي تنهض عليها الأمم، وهو مرآة تعكس مدى رقي المجتمعات ووعيها بأهمية بناء الإنسان علميًا وفكريًا. ولطالما أولت الحضارات الإسلامية عناية كبيرة بالعلم وأهله، فشهدت العصور الإسلامية ازدهارًا علميًا وثقافيًا واسعًا، تجسّد في تعدّد مؤسسات التعليم وانتشارها، وتنوّع العلوم والمعارف، وتطور مناهج التدريس، مما أرسى دعائم نهضة علمية متكاملة.

وفي هذا السياق، تميّزت الدولة الحفصية التي حكمت إفريقية من سنة 627هـ/1227م إلى سنة 981هـ/1573م، بمكانة علمية مرموقة في بلاد المغرب، حيث ساهمت في تعزيز الحياة العلمية من خلال تأسيس شبكة واسعة من المؤسسات التعليمية التي تنوعت بين المساجد، الكتاتيب، الزوايا، الربط، والمدارس. وقد كان لهذه المؤسسات دور بارز في نشر المعارف الدينية واللغوية والعقلية، وفي تكوين جيل من العلماء والفقهاء الذين أسهموا في ازدهار الثقافة الإسلامية في المنطقة.

ومن خلال ما سبق يندرج موضوع دراستنا في هذا الإطار "التعليم ومؤسساته في

الدولة الحفصية (627-981هـ/1227-1573م)"

❖ أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذا الموضوع من كونه يتناول جانبًا محوريًا في تاريخ الدولة الحفصية، وهو الجانب المتعلق بالمؤسسات التعليمية، الذي قلّما نال حظّه من الدراسة مقارنةً بالجوانب السياسية أو العسكرية.

كما أنّ فهم البنية التعليمية في تلك الفترة يتيح لنا إدراك آليات انتقال المعرفة، ومظاهر الرعاية العلمية، والوظائف الحضارية للمؤسسة التعليمية في المجتمع المغربي الوسيط.

❖ دوافع اختيار الموضوع :

تعود أسباب اختياري لهذا الموضوع إلى دوافع متعددة يمكن تصنيفها إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية:

أولاً: الأسباب الذاتية:

✓ اهتمامي الشخصي بتاريخ المغرب الإسلامي عمومًا، والدولة الحفصية على وجه الخصوص.

✓ رغبتني في التخصص في مجال تاريخ التعليم والحياة العلمية في العالم الإسلامي.

✓ في نظري بأن هذا الموضوع يجمع بين البعد التاريخي والتربص التعليمي، مما يمنحني فرصة لربط النظرية بالتطبيق.

ثانيًا: الأسباب الموضوعية:

✓ قلة الدراسات المتخصصة التي تتناول المؤسسات التعليمية في الدولة الحفصية بشكل دقيق ومفصل، مقارنةً بالدراسات التي ركزت على الجوانب السياسية أو العسكرية.

✓ أهمية الموضوع في فهم بنية المجتمع الحفصي، باعتبار التعليم أداة مركزية في تشكيل النخبة العلمية والدينية.

✓ الرغبة في إبراز الدور الحضاري للدولة الحفصية في نشر العلوم والمعارف، وهو جانب لم ينل حظه من طرف الباحثين.

❖ إشكالية الدراسة :

ومن هنا انبثقت الإشكالية الرئيسية لهذا البحث، والمتمثلة في:

ما طبيعة التعليم ومؤسساته في الدولة الحفصية ؟

ومن هذه الإشكالية تفرعت الأسئلة الفرعية التالية:

✓ كيف كانت بنية النظام التعليمي في الدولة الحفصية؟

✓ ما هي أنواع ومراحل التعليم التي عُرفت آنذاك؟

✓ ما هو الدور الذي أدته المساجد، الكتاتيب، الزوايا، الربط، والمدارس في نشر العلم؟

✓ كيف ساهم الأمراء والعلماء في ازدهار الحركة التعليمية؟

❖ منهج الدراسة:

للإجابة عن هذه الإشكالات، اتبعت في هذا البحث المنهج التاريخي التحليلي الذي يقوم على تتبع الأحداث والوقائع، مع تحليلها وربطها بسياقها الزمني والاجتماعي، كما تم الاستعانة بالمنهج الوصفي في عرض أنواع المؤسسات التعليمية وأنشطتها ووظائفها.

❖ عرض خطة البحث:

من خلال المادة التي جمعناها، ومن أجل الإلمام بكل جوانب موضوع دراستنا تم تقسيم دراستنا إلى مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين رئيسيين ، وخاتمة كانت حوصلة شاملة للموضوع.

قد جاء الفصل تمهيدي بعنوان "الحياة العلمية في الدولة الحفصية (627هـ/1227م - 981هـ/1573م)، حيث تمّ التطرق أولاً إلى نشأة الدولة الحفصية وتطورها التاريخي، ثمّ حدودها الجغرافية، وبعدها تمّ عرض الأوضاع العامة للدولة الحفصية منذ التأسيس إلى السقوط، وذلك لتوفير خلفية سياسية وزمنية تسهّل فهم السياق العام للموضوع. ثم انتقلنا إلى تناول عوامل ازدهار الحياة العلمية في دولة بني حفص، مثل تشجيع الأمراء الحفصيين للعلماء ورعايتهم، وتوفير المكتبات، والهجرة الأندلسية إلى المغرب وما أحدثته من حراك علمي وثقافي. وفي ختام الفصل، عالجنا جانباً مهماً من الحياة الفكرية، فسّلطنا الضوء على الحياة الأدبية والعلمية عند الحفصيين، فتناولنا دور الأئمة الحفصيين في نشر اللغة العربية والتعليم، والعلوم النقلية كالنفسير والحديث والفقه، والعلوم العقلية كالفلسفة والمنطق والرياضيات.

أما الفصل الأول فكان بعنوان "التعليم في الدولة الحفصية (627هـ/981م - 1227م/1573م)، وخصص لدراسة النظام التعليمي ومراحله، حيث تمّ التطرق أولاً إلى أنواع التعليم التي كانت سائدة، وهي: التعليم الشعبي، والتعليم الاحترافي، ثم تناولنا مراحل

التعليم التي مرّ بها الطالب في الدولة الحفصية، بدءًا من المرحلة الأولى (الابتدائية) مرورًا بالمرحلة الثانية (الثانوية) ثم مرحلة المشيخة التي تُعدّ من أرقى درجات التحصيل العلمي. كما ناقشنا في هذا الفصل نظام التدريس والإجازة العلمية، فعرضنا طبيعة نظام التدريس، وطرق ومناهج التدريس المعتمدة آنذاك، ثمّ تطرقنا إلى الإجازة العلمية وشروطها وأهميتها.

أما الفصل الثاني والأخير، فقد جاء تحت عنوان "المؤسسات التعليمية في الدولة الحفصية (627هـ/981م - 1227م/1573م)"، وقد خصص لدراسة البنى والمؤسسات التي احتضنت النشاط التعليمي، فبدأنا بـ المساجد والكتاتيب، وتناولنا دور المساجد في التعليم كونها أماكن للعبادة والعلم معًا، إلى جانب الكتاتيب التي لعبت دورًا أساسيًا في تعليم الناشئة مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم. ثم انتقلنا إلى الحديث عن الزوايا والربط، حيث تمّ التطرق إلى الزوايا بوصفها مؤسسات دينية وعلمية، وكذلك الربط (المنستير) كمراكز للتعليم والإقامة. وفي الأخير تناولنا المدارس والمكتبات كمراكز تعليمية، فعرضنا دور المدارس في التعليم المتخصص والعالي، وركزنا على دور المكتبات بوصفها مؤسسات تعليمية مكّمة، ساهمت في حفظ الكتب وتيسير سبل الاطلاع والتحصيل للطلبة والعلماء.

أهم المصادر والمراجع:

من أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها نذكر منها:

المصادر:

- الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية وهو يحتوي على معلومات قيمة عن الدولة الحفصية.

- ابن خلدون عبد الرحمان في كتابه: تاريخ ابن خلدون وتحدث فيه عن الجانب السياسي للدولة الحفصية وسلطينها، والمقدمة التي أفادتني في معرفة مراحل التعليم في الدولة الحفصية.

- ابن قنفذ القسنطيني في الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية والذي أفادني في معرفة الأوضاع الاقتصادية في الدولة الحفصية.

المراجع:

- أحمد بن عامر يعتبر من أهم المراجع التي تكلمت عن الدولة الحفصية والذي يحمل عنوان الدولة الحفصية وتكلم عليها بشكل مفصل.

- عبد العزيز الدولاتي: مدينة تونس في العهد الحفصي والذي تكلم عن الحياة العلمية في مدينة تونس أي المغرب الأدنى.

❖ الصعوبات التي واجهتنا:

خلال إعداد هذه المذكرة، واجهتنا مجموعة من الصعوبات التي أثرت على سير البحث، ويمكن تلخيصها في العناصر التالية:

✓ ندرة المصادر المتخصصة حول المؤسسات التعليمية في الدولة الحفصية، واضطراري إلى الاستعانة بمراجع غير مباشرة.

✓ تشابك المعلومات وتداخلها بين العهد الحفصي والفترات السابقة أو اللاحقة له، ما تطلب تدقيقاً كبيراً في التواريخ والأحداث.

✓ صعوبة الوصول إلى بعض المراجع الورقية التي لم تكن متوفرة إلكترونياً أو في المكتبات المحلية.

✓ الإشكال المنهجي في تصنيف المؤسسات التعليمية وتحديد وظائفها بدقة، بسبب غموض بعض التسميات وتعدد وظائف المؤسسة الواحدة.

✓ الضغط الزمني والموازنة بين متطلبات الدراسة الجامعية والبحث الأكاديمي، مما تطلب مجهوداً تنظيمياً كبيراً.

مدخل التمهيدي:

الحياة العلمية في الدولة الحفصية

(981/627هـ - 1573/1227م)

1- الدولة الحفصية وتطورها التاريخي:

1-1- نشأة الدولة الحفصية.

1-2- الحدود الجغرافية للدولة الحفصية.

1-3- أوضاع الدولة الحفصية منذ التأسيس الى السقوط.

2- عوامل ازدهار الحياة العلمية بدولة بني حفص:

1-2- تشجيع الامراء الحفصيين للعلماء ورعايتهم.

2-2- توفر المكتبات.

2-3- الهجرة الاندلسية للمغرب.

3- الحياة الادبية والعلمية عند الحفصيين:

1-3- دور الائمة الحفصيين في نشر اللغة العربية و التعليم.

2-3- العلوم النقلية عند الحفصيين.

3-3- العلوم العقلية عند الحفصيين.

تمهيد:

لقد كان عصر الدولة الحفصية وريث عهد الموحدين ، ورث عنه تدهورا سياسيا مريعا ، كثر فيه الصراع الذي وقع بين الدويلات التي قامت بعد سقوط دولة الموحدين ، وعلاوة على ذلك وعلى المستوى الخارجي تكالب الصليبيين على العالم الإسلامي مشرقا ومغربا ، لكن كل ذلك لم ينعكس كليا على الوضع الثقافي الذي بقي مفعما بالحيوية والعطاء ، محافظا على مساره المتجدد منذ العصر الموحيدي ، كما ان رجال السياسة والدولة في العهد الحفصي ، لم تشغلهم الخلافات السياسية عن القيام بواجبهم المنوط بهم إزاء الحركة العلمية من تشجيع للعلم وبناء لمؤسساته.

1 - الدولة الحفصية وتطورها التاريخي:

1-1-نشأة الدولة الحفصية:

الدولة الحفصية هي الدولة الإسلامية الرابعة بالبلاد التونسية وقد دامت 347 سنة هجرية¹، و يعتبر بنو حفص² أهم أسرة حاكمة في تاريخ المغرب الأدنى ابان الفترة المتأخرة من العصور الإسلامية، ويرجع نسب هذه الأسرة الى الشيخ ابي عمر بن يحيى الهنتاني³، احد العشرة من أصحاب المهدي، وقد كانت لهم مكانة كبيرة في الدولة الموحدية ، اذ تقلد مناصب هامة في الدولة ، ويعد أبو زكريا الحفصي⁴ المؤسس الحقيقي للدولة الحفصية.⁵

وقد تمكن من تأسيسها عندما كان واليا من قبل (الدولة الموحدية بالمغرب الأقصى) التي كانت البلاد التونسية تابعة لها منذ ان أصبحت في حوزتها سنة 555هـ/1160م⁶، اذ

¹ احمد بن عامر، الدولة الحفصية، دار الكتب الشرقية، تونس، دت ، ص17

²بنو حفص: ينتسب الحفصيون الى ابي حفص بن يحيى بن محمد بن والد بن علي بن احمد بن ولال بن ادريس بن خالد بن اليسع بن الياس بن عمر بن واقتن بن محمد بن محبة بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: الشماع أبو عبد الله بن محمد بن احمد، الأدلة البيئية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984، ص48.

³أبي عمر بن يحيى الهنتاني: هو إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاني ،أمير المؤمنين بتونس وبالد أفريقية، ولما صار الأمر للناصر الموحي ، صرف وجهه إلى أفريقية ، وهو الذي سحق قوى يحيى بن غانية، في موقعتين ،الأولى سنة602هـ، والثانية سنة 606هـ .ينظر: لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، مج1، دت، ص 310

⁴أبو زكرياء الحفصي: هو أبو زكرياء يحيى ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد ، دخل تونس بعد ان قبض على أخيه الأمير عبد الله يوم الأربعاء ربيع عشر رجب منذ سنة 625هـ، ووجهه الى المغرب في البحر، وكتب الأمير أبو زكرياء الى جميع بلاد افريقية بخلع ابي العلاء المامون وبقي يستبد في أمور اشغاله بالملك شيئا فشيئا الى سنة 634 هـ بعد ان بوع بتونس سنة 627هـ وكتب علامته بيده الشكر لله وحده ، توفي ليلة الجمعة ثاني عشر جمادى الآخرة سنة 647هـ بمحلته بظاهر بونة ودفن من الغد بجامع بونة، وكانت ولادته بمراكش سنة 599، فكان عمره تسعا وأربعين سنة وخلافته بتونس عشرين سنة وستة اشهر، انظر: الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح و تع: محمد ماضور، دار الكتب العتيقة، تونس، 2002، ص164.

⁵ ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ت: محمد الشاذلي النيفر و محمد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1948، ص103.

⁶ انظر الملحق رقم (1)، ص65.

اغتنم أبو زكريا الحفصي فرصة تراجع امر خلفاء تلك الدولة وضعفهم واختلال سلطتهم، فاعلن الاستقلال، وتأسيس الدولة الحفصية¹، فلم يلق اية معارضة من احد، وانقادت اليه البلاد طائعة وذلك سنة 634هـ/1237م.²

ويذكر ابن قنفذ القسنطيني: " انه ببيع في اول عام ستة وعشرين وستمائة وهذه البيعة الأولى من الموحدين، ثم اخذ في ترتيب الأحوال واستجلاب محبة الناس بالمعاملة المشكورة والإحسان". وفي عام اربعة وثلاثين وستمائة ذكر اسمه في الخطبة، وببيع البيعة الثانية التامة التي لم يختلف فيها احد من الناس ولم يتسم بأمر المؤمنين وعرض له الشعراء بذلك فانكر عليهم.³

وفي ذلك يضيف الزركشي بقوله: " وبائع اهل بلنسية المولى أبا زكرياء صاحب تونس في رابع المحرم عام ستة وثلاثين وستمائة بعد ان كانت وقعة كبيرة قتل فيها الحافظ أبو الربيع ابن سالم.⁴ وتتابع عليه البيعات من المغرب و الاندلس، ليتم ارث الحفصيين للدولة المؤمنية نهائيا ببيعة بني مرين لهم لما فتحوا مراكش سنة 668هـ. استمر حكم الحفصيين لإفريقية ثلاثة قرون ونصف انتهى بسقوطها على يد العثمانيين بقيادة سنان باشا.⁵

¹ انظر الملحق رقم 01 ص 65.

² احمد بن عامر ، المرجع السابق ، ص17.

³ ابن قنفذ القسنطيني ، المصدر السابق، ص108

⁴ الزركشي، المصدر السابق ، ص27.

⁵ المطوي محمد العروسي، السلطنة الحفصية تاريخها ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، لبنان ، 1986 ، ص734.

1-2- الحدود الجغرافية للدولة الحفصية:

ظهرت بالمغرب الأدنى الدولة الحفصية وعاصمتها تونس¹، وكان إقليم تونس يسمى إفريقية وبه كانت في القديم مدينة قرطاجة، ويحده من جهة الغرب إقليم قسنطينة، ومن جهة الشرق إقليم طرابلس، ومن الجنوب جبال الأطلس وإقليم الزاب وجزء من نوميديا وليبيا الشرقية، أما الشمال فيحده البحر المتوسط.²

وقد امتد نفوذ الدولة الحفصية ليشمل إقليم تونس³ إفريقية وجميع الأراضي التي يقابلها طرابلس⁴ الغرب وليبيا وأجزاء من الجزائر وهي ولايات بونة وعنابة وقسنطينة وبجاية وتتدلس التي تسمى دلسي حاليا غربا وما بعد ورقلة في الصحراء الجزائرية جنوبا.⁵

¹ عبد الرحمن بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج4 دار الفكر للطباعة والنشر ، بروت 2000 م ، ص 218.

² مارمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد رابير، ج3، دار المعرفة، الرباط، 1988-1989م، ص16.

³ تونس: اسمها الأول ترشيش بها مرسى وبحرها اسمه ردا، فتحها حسان ابن النعمان وفيها دار صناعة كان عبد الملك عبد مروان وجه الى معسكرها الف قطبي يعملون بها لتكون نواة قوة وعدة للمسلمين، انظر: البكري ، المسالك والممالك، ج2، ص662.

⁴ طرابلس: مدينة كبيرة ازلية على ساحل البحر، يضرب في سورها ماء البحر، وهو من حجر جليل من بناء الأول، ومن طرابلس الى جبل نفوسة ثلاثة أيام ومن جبل نفوسة الى القيروان ستة أيام، انظر: الشماخ أبو عبد الله بن محمد بن احمد ، المصدر السابق، ص31.

⁵ مبطي جميلة المسعودي، المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621هـ حتى سنة 893هـ، رسالة الماجستير ، جامعة أم القرى، 2000، ص62.

1-3- أوضاع الدولة الحفصية منذ التأسيس الى السقوط:

أ- الأوضاع السياسية:

كانت منطقة نفوذ الدولة الحفصية تشمل البلاد التونسية وطرابلس ومقاطعة قسنطينة من بلاد الجزائر، وكانت منقسمة الى مناطق على راس كل منها وال- او عامل يعتمدون على مشائخ البلدان، ورؤساء القبائل.¹

لقد بلغ امراء الدولة الحفصية 24 اميرا، وهم:

- (1) ابو زكرياء يحيى 634-647هـ=1237-1249م.
- (2) محمد المستنصر بالله 634-675هـ=1249-1277م.
- (3) او زكرياء يحيى الوائق 647-678هـ=1277-1279م.
- (4) أبو إسحاق إبراهيم الأول 678-683هـ=1279-1284م.
- (5) أبو حفص عمر الأول 683-694هـ=1284-1295م.
- (6) أبو عبد الله محمد أبو عصيدة 694-694هـ=1284-1295م.
- (7) أبو بكر بن يحيى 709-709هـ=1309-1309م.
- (8) أبو البقاء خالد الأول 709-711هـ=1309-1311م.
- (9) أبو يحيى زكرياء الأول 711-717هـ=1311-1317م.
- (10) محمد أبو ضربة 717-718هـ=1317-1318م.
- (11) أبو بكر بن ابي زكرياء 718-747هـ=1318-1346م.
- (12) أبو حفص عمر الثاني 747-748هـ=1346-1347م.
- (13) أبو العباس الفضل 750-751هـ=1350-1369م.
- (14) أبو إسحاق إبراهيم الثاني 751-770هـ==1350-1369م.²

¹ احمد بن عامر، المرجع السابق، ص21

² المرجع نفسه، ص18.

- (15) أبو البقاء خالد الثاني 770-772هـ=1369-1370م.
- (16) أبو العباس احمد الأول 772-796هـ=1370-1394م.
- (17) أبو فارس عبد العزيز 796-837هـ=1394-1433م.
- (18) محمد المنتصر 837-839هـ=1433-1435م.
- (19) أبو عمرو عثمان 834-839هـ=1435-1488م.
- (20) أبو يحيى زكرياء الثاني 893-899هـ=1488-1493م.
- (21) أبو عبد الله محمد 899-932هـ=1493-1526م.
- (22) الحسن بن محمد 932-950هـ=1526-1543م.
- (23) أبو العباس احمد الثاني 950-977هـ=1543-1569م.
- (24) محمد بن الحسن 977-981هـ=1569-1573م.¹

أصبحت تونس في العهد الحفصي² عاصمة لأفريقية فحسب بل الجانب كبير من المغرب العربي بسبب الانتصارات العسكرية شرقي افريقية وجنوبها، وظهرت الدولة الحفصية اقوى دولة في تلك الفترة.³

لقد انتشل الحفصيون افريقية من الفوضى والاضطرابات والانقسام الى دول طائفية انتصبت باهم المدن الافريقية من بينها تونس، فلم ينجحوا فقط في توحيد افريقية وإقامة حكم مركزي بالعاصمة التونسية بل أيضا وسعوا حكمهم جنوبا الى طرابلس وجنوب الصحراء الى حدود توغرا ووراكلا وغدامس، وغربا الى الجزائر ففاس، ولم يرد أبو زكرياء الحفصي وخلفاؤه من بعده إلا القضاء على الفتن التي كان اهم عامل من ورائها القبائل الاعرابية من بني هلال وسليم وما انفكت منذ هجومها على القيروان تمثل سببا رئيسيا للتخريب وعدم الاستقرار الاجتماعي

¹ احمد بن عامر، المرجع السابق، ص18.

² انظر الملحق رقم (2)، ص66.

³ احمد الطويلي، في الحضارة العربية التونسية، منشورات المعارف للطباعة والنشر، سوسة / تونس، دت، ص12.

والسياسي والتدهور الاقتصادي واستطاعت الدولة الحفصية ان تستمر اكثر من ثلاثة قرون ونصف القرن، متغلبة أحيانا كثيرة على التناقضات القبلية، وموطدة للامن والاستقرار.¹

ب- الأوضاع الاجتماعية:

كانت عناصر الشعب تتكون من البربر والعرب الذين وحد بينهم: الدين الإسلامي، واللغة العربية، وانتسابهم الى بلاد المغرب العربي، وامتزجوا بالمصاهرة وجميعهم سنيون مالكيون.²

كانت تلك القبائل تمثل شبه أمم تتعايش في سلم، فيما بينها ومع عالم المدن من الحضر ومع الدولة وقت الرخا لكنها تتناحر بشدة عند الأزمات.

قد عرف ان المجتمع الحفصي تكون من قبائل وهم على نوعين الرجل او شبه الرجل وكانوا أصحاب الأمر والنهي في المناطق الداخلية واقاموا فيها نظاما اجتماعيا وطرق عيش عتيقة وانجر عن ذلك تفتت المجتمع وانقسامه داخل البلاد الى مجموعات تتمثل في القبائل المستقلة.³

الأوضاع الاقتصادية:

ازدهر النشاط الاقتصادي في تونس بفضل السياسة التي اتبعها بعض السلاطين الحفصيين، من تحديد الضرائب المنظمة التي تدخل الخزانة العامة سنوياً بصرف النظر عن حالة المحصول، والخراج الذي فرضه الحفصيون ومختلف المكوس المفروضة على الصنائع ونقل البضائع وبيعها وما تؤديه القبائل من ضرائب فرضت عليها وإلى جانب هذا النظام الجبائي شجع الحفصيون نشاط التجارة ومهاجمة السفن الصليبية في البحر كنوع من أنواع الجهاد ضد وجودهم البحري في المنطقة البحرية واستخلصوا منهما غنائم هائلة قدرها المؤرخ

¹ أحمد الطويلي، المرجع السابق، ص15.

² احمد بن عامر، المرجع السابق ، ص73

³ محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال، دار سواس، 1993، ص 58.

ابن أبي دينار على عهد السلطان أبي زكرياء الأول (بالبیت البيت) والبيت عبارة عن ألف ألف، ومن الواضح أنه لم يكن هناك أي فصل بين الخزينة العمومية للدولة وبين صندوق السلطان، فكانت الأموال تحت تصرفه، مما جعله أقل تبعية لما تدفعه الرعية من الضرائب¹.

2-عوامل ازدهار الحياة العلمية بدولة بني حفص:

2-1-تشجيع الامراء الحفصيين للعلماء ورعايتهم:

اشتهر الخلفاء الحفصيون عموما برعاية الادباء وتشجيع الفنانين والراقصين، وتأسيس المؤسسات العلمية والدينية من جوامع ومدارس ومكتبات وزوايا نذكر منها خاصة مكتبة ابي زكرياء الأول وكانت كتبها لاتقل عن 36000 كتاب، والمكتبة الفارسية والمكتبة العثمانية والمكتبة العبدلية الشهيرة.

حيث كان الكثير من الأمراء أصحاب دواوين وشعراء احاطوا انفسهم بعدد من الأدباء والعلماء مغاربة وأندلسيين كانوا يقدمون لهم الجوائز والهبات فكثرت الشعراء المادحون من المشرق والمغرب².

على غرار ذلك كان الامراء الحفصيين بحد ذاتهم كانوا شغوفين بطلب العلم يعرفون قدر ومنزلة العلماء، وعلى دراية بمشاق العلم ومنافعه³.

فلا عجب ان انعشوا الحياة الفكرية والأدبية بتونس ونفخوا في هذه المدينة الجديدة اذاك روحا جديدة اصبح لها اشعاع عظيم، وصارت قطبا هاما من اهم خصائصه توافد الأدباء والشعراء⁴ والأطباء والعلماء عليه، وتكاثر المجالس الأدبية والفكرية والغنائية والفقهية به، وتواجد

¹ ابن القنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص 113.

² احمد الطويلي، المرجع السابق، ص 10.

³ عبد الله حمادي، دراسات في الادب المغربي القديم ، دار البعث، الدار البيضاء، دت، ص 129.

⁴ احمد الطويلي، المرجع السابق، ص 13.

الكتب في المكتبات العامة والخاصة حتى أصبح التجار يقبلون عليه لاقتناء العدد الوفير منها وتصديره للبلدان المشرقية والأفريقية والمغربية.¹

2-2- توفر المكتبات:

كانت تونس مركز لتعليم العلوم وفنون الأدب خاصة البلاغة والنقد الأدبي والعروض والنحو والصرف، وكانت مركز لتأليف الكتب في شتى الاهتمامات الفكرية والأدبية، ولنا اليوم تصانيف كثيرة راجعة إلى العهد الحفصي كتبها أصحابها في تونس، وتعد آثار فنية وأدبية ذات بال نذكر منها بعض تأليف ابن الأبار وحازم القرطاجي وابن عصفور وشرف الدين التيفاشي وابن شباط وأبي جعفر اللبلي إلى جانب التأليف الفقهية التي كانت وما تزال من المصادر الأساسية في الفقه المالكي مثل تأليف ابن عرفة وتلاميذه أبي القاسم بن ناجي وأبي القاسم البرزلي وأبي العباس البسيلي وأبي مهدي عيسى الغبريني وأبي عبد الله الأبي وأبي عبد الله الرصاع.²

كما عرف عن الخلفاء الحفصيون اشتغالهم برعاية الأدباء وتشجيع الفنانين وتأسيس المؤسسات العلمية والدينية من جوامع ومدارس ومكتبات نذكر منها خاصة مكتبة أبي زكريا الأول وكانت كتبها لا تقل عن 36000 كتاب والمكتبة الفارسية والمكتبة العبدلية.³

2-3- الهجرة الاندلسية للمغرب:

شهدت تونس خلال العهد الحفصي، من أوائل القرن السابع الهجري القرن السابع الهجري إلى العاشر ومن القرن الثاني عشر الميلادي إلى الخامس عشر ازدهار ثقافيا، ونهضة عمرانية ونشاطا علميا، مما جعلها مركز إشعاع حضاري عظيم كان مبعث إعجاب كبير في

¹ أحمد الطويلي، المرجع السابق، ص 11.

² المرجع نفسه، ص 09.

³ المرجع نفسه، ص 12.

نفوس من زارها اذاك من الرحالين المغاربة والاندلسيين¹ والغربيين والمشاركة، فكتبوا منوهين مشدوهين بما وصلت اليه تونس في عصرهم من نهضة أدبية وعلمية وثقافية وعمرانية بكثرة علمائها وادبائها وشعرائها وزهادها من جهة، وبروعة مبانيها وتعدد جوامعها ومساجدها ومدارسها والتفنن في بناء القصور وتنضيد البساتين من جهة أخرى.²

وقد جلب لها الامراء الأساتذة من الاندلس ومن طرابلس وغيرهما، واسكنوا بها الطلبة وقاموا باطعامهم، كونوا لهم بها المكتبات ، فقامت بأكبر قسط في تكوينهم تكوينا جامعيا.³

ومجمل القول ان تونس كانت مركز اشعاع حضاري عظيم طيلة العهد الحفصي، وقد دام هذا الاشعاع حوالي أربعة قرون منذ دخول ابي زكرياء تونس سنة 652هـ الى احتلال العثمانيين لها وحمل السلطان محمد الحفصي الى القسطنطينية في 6 جمادى الأولى سنة 981هـ، إذ عرفت تونس في كثير من الفترات الاستقرار السياسي والازدهار العمراني وتالق الحياة الفكرية والأدبية والرخاء الاقتصادي والأمن الاجتماعي.⁴

3- الحياة الادبية والعلمية عند الحفصيين:

3-1- دور الائمة الحفصيين في نشر اللغة العربية والتعليم:

لقد نشطت الحركة الثقافية خلال القرن السابع الهجري وتقدمت تقدما كبيرا سواء بتونس أو المغرب الاوسط، حيث نبغ أعلام كثيرون في بجاية وتلمسان والجزائر ومليانة وقسنطينة، وقد ذكرهم 'الغبريني' في كتابه (عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية) كما سجل لنا 'العبدري' في رحلته بعض ملامح الحركة العلمية ببجاية حيث يقول: (مدينة بجاية مبدأ الاتفاق والنهاية وهي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة برية بحرية سنية وثيقة البنيان

¹ انظر الملحق رقم (3)، ص 67.

² احمد الطويلي، المرجع السابق ، ص 07.

³ احمد بن عامر، المرجع السابق، ص 65.

⁴ احمد الطويلي، المرجع السابق ، ص 21.

وعجبية الانتقان... وهذا البلد بقية قواعد الاسلام وحل حلة من العلماء والاعلام وكانت بجاية قد دخلت في حكم الحفصيين بعد استيلاء أبي زكرياء الحفصي عليها سنة 629هـ، وجعل من بجاية عاصمة لولاية مستقلة تشمل الجزء الاكبر من قسنطينة.¹

وفي هذه الفترة انتشر التعليم بواسطة الكتاتيب، والمدارس، والمساجد والزوايا، وقد كان 'لجامع الزيتونة' دوره البارز في مجال التعليم حيث انتظم التعليم به وبذلك المدارس والجوامع والزوايا خاصة في علوم اللغة والشريعة والفقه والحديث والتفسير وغيرها.²

ان المتتبع للأوضاع السياسية في بلاد المغرب يدرك ذلك التباعد والتنافس السياسي بين هذه الدول ويدرك من جهة أخرى أن هناك عوامل كثيرة شجعت على التقارب العلمي والثقافي وسهلت على العلماء والطلاب التنقل بكل حرية بين هذه الأقطار للوصول الى المراكز العلمية ومن ابرز تلك العوامل.³

فنرى ابن ابي دينار القيرواني الأصل والمنشا يمجّد العهد الحفصي ويتغى به في اكثر من مناسبة، ويقول عن تونس: "انها عروس بلاد المغرب"، ونزهة الإقليم الافريقي، ودار الخلفاء من بني أبي حفص، وهي اشهر من نار على علم وخبرها روته الثقة بالنقل والنص.⁴

كان للعلماء والادباء دورا هاما في تطور وازدهار الحياة الثقافية خاصة والاجتماعية بصفة عامة، فشهدت البلاد نهضة فكرية وثقافية، فاقبل الناس على العلم وانتشرت الكتاتيب والمدارس والزوايا وتم تدريس مختلف العلوم الفقهية والشرعية والادبية والعقلية، فازدهر الشعر

¹ نورة قطوش، الوضع الثقافي للدولة الحفصية خلال القرن السابع الهجري "المواقف، المجلد: 19، العدد: 01، جوان 2023، ص685.

² ابن عامر احمد، المرجع السابق، ص66.

³ سيعبد القادر عمر، الرحلة الداخلية في المغرب الإسلامي واثرها في اودهار الحياة العلمية من القرن 7 الى 9 هـ 13-15م، مجلة روافد، العدد الأول، جوان، 2017، ص150.

⁴ أحمد الطويلي، المرجع السابق، ص22.

في هذه الفترة بفضل تشجيع الامراء للحركة الادبية ،كما عرف النثر تطورا أيضا خاصة أدب الرسائل.وكان لادب الرحلة دوره في حفظ الموروث الشعري والنثري 'كرحلة العبدري' الثرية بالاحكام النقدية، 'ورحلة التجاني' التي سجل لنا فيها أشعارا ورسائل فنية كثيرة.¹

لقد كان لفئة العلماء في المسيرة التاريخية لبلاد المغرب الإسلامي أدوارا كبيرة في الازدهار العلمي والثقافي، من خلال التأثير المتبادل بين مناطق المغرب الإسلامي.²

3-2-العلوم النقلية عند الحفصيين:

أ- القرآن الكريم:

القران الكريم هو كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، المكتوب بين دفتي المصحف، وهو المصدر الأول للاسلام، الناظم لشؤون المسلمين الدينية والمدنية³، وقد توصل أهل تونس إلى معرفته وتعلم أحكامه وحفظه، فظهرت كتب التفسير التي تسهل للناس فهم القرآن وتدبر معانيه، فاعتمدوا على كتاب "الزمخشري"، و"الكشاف" الذي شرحه محمد عطية وقد وصل إلى المغرب في القرن 14م، وكذلك كتاب "الكشف والبيان في تفسير القرآن" للثعلبي.⁴

¹ نورة قطوش ، المرجع السابق، ص691.

² سيعبد القادر عمر ، المرجع السابق، ص160.

³ ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، 2000 ، ص774.

⁴ سميرة نميش، الحركة العلمية بدولة بني حفص ق108هـ/13م، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 05، العدد11، سبتمبر 2017، ص50.

ب - الحديث:

الحديث والسنة هو كل ما اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير، فالحديث يشير الى القول والسنة الى العمل او السكون عن العمل وهو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، بعد القرآن الكريم¹، واهم الكتب التي برزت في الدولة الحفصية نجد "صحيح مسلم"، "صحيح البخاري"، "سنن الترمذي"، "النسائي"، "أبو داود"، أما الشروحات فقد ظهرت العديد منها شرح على صحيح مسلم ألبي محمد بن عمر الوشتاتي وهو قاضي الجزيرة القبلية في عهد أبي فارس الحفصي، درس في تونس، وهو مفسر ومحدث وكتابه في الحديث المسمى "إكمال المعلم" الذي لقي اهتمام المحدثين في العهد الحفصي، وكذلك "كتاب الملازري".²

ت - الفقه:

يعرف الفقه بأنه معرفة احكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب، والحظر، والندب، والكرهية، والاباحة، وهي منتقاة من الكتاب والسنة، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فاذا استخرت الاحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه³، واما في الدولة الحفصية فقد اعتبر أكثر العلوم تطوراً ودراسة ويعود الفضل في ذلك إلى عودة المذهب المالكي الذي كان سائداً في بلاد المغرب.⁴

¹ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص789.

² أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970، ص382

³ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص798.

⁴ المصدر نفسه، ص449.

علوم اللغة العربية:

ث - النثر والشعر:

قد كان لظهور دولة بني حفص من الأهمية ما جعلها تحافظ على الكيان العربي الإسلامي، وتصبح لها الريادة في مختلف المجالات خاصة خلال القرن السابع الهجري، حيث عرفت البلاد نهضة ثقافية وأدبية، "ومن مظاهر تلك النهضة ازدهار النثر الفني الذي امتازت به رسائل ذلك العهد كما ازدهر الشعر وخصوصا الشعر المرتجل في المناسبات.¹

3-3- العلوم العقلية عند الحفصيين:

أ - علم الطب:

برز في عهد أبي زكريا الحفصي "أحمد بن محمد بن الحشا أبو جعفر" صاحب كتاب "مفيد العلوم ومبيد الهموم" وهو يذكر الالفاظ الطبية الموجودة في كتاب المنصوري لأبي بكر الرازي، كما اشتهر "أحمد بن أبي العباس الخميري" طبيب تتلمذ على يد الصقالبة، والطبيب "عبد القاهر بن محمد بن عبد الرحمان التونسي صاحب كتاب" الطب في تدبير المسافرين ومرض الطاعون".²

ت - علم الحساب:

اهتموا به لضرورته في تقسيم التركات فكان الطلاب يدرسون المبادئ الأولية للحساب حتى يتمكنوا من معرفته وكذلك علم المنطق حيث كان يدرس كتاب في المنطق وهو "الجمل" للخوجي.³

¹ ابن عامر أحمد، المرجع السابق، ص 67

² سميرة نميش، المرجع السابق، ص 54.

³ جميلة مبطي المسعودي، المرجع السابق، ص 232.

الفصل الأول:

التعليم في الدولة الحفصية

(981/627هـ - 1573/1227م)

4-أنواع التعليم:

1-4- التعليم الشعبي.

1-5-التعليم الاحترافي.

5- مراحل التعليم:

2-4- المرحلة الأولى (الابتدائية)

2-5- المرحلة الثانية (الثانوية)

2-6-المشيخة

4- نظام التدريس و الاجازة العلمية :

4-1-نظام التدريس.

4-2-طرق ومناهج التدريس.

4-3-الاجازة العلمية.

➤ تمهيد:

يُعد التعليم من الركائز الأساسية التي تقوم عليها المجتمعات، إذ يعكس مستوى تطورها الثقافي والحضاري، ويُسهم في بناء الفرد وتأهيله للاندماج في محيطه الاجتماعي والاقتصادي. وفي السياق الإسلامي، وقد حظي التعليم بمكانة سامية منذ البعثة النبوية، حيث ارتبط بنشر الدين والعلم معًا، وتواصلت العناية به على مر العصور والدول. وقد شهدت بلاد المغرب الإسلامي خلال العهد الحفصي (من القرن 13م إلى القرن 16م) نهضة علمية وتعليمية متميزة، نتيجة تفاعل عوامل دينية، وسياسية، واجتماعية، أسهمت في ترسيخ بنية تعليمية متكاملة ومتنوعة، فقد أولى الحفصيون التعليم عناية خاصة، سواء في مستواه الشعبي الموجه لعامة الناس، أو في مستواه العالي الذي ارتبط بالمؤسسات الدينية والعلمية الكبرى، مثل الجوامع والزوايا والمدارس. كما تميز التعليم في هذه الفترة بتعدد مراحله، وانضباطه بنظام واضح في التدريس والتقييم، بلغ ذروته بمنح الإجازات العلمية التي كانت بمثابة شهادة معترف بها بين العلماء والطلبة في مختلف أقطار العالم الإسلامي.

يهدف هذا الفصل إلى تسليط الضوء على ملامح التعليم في الدولة الحفصية من حيث أنواعه، ومراحله، وهيكلته نظامه، بما في ذلك طرق التدريس، وآليات منح الإجازة العلمية، وذلك في محاولة لفهم مدى تطور البنية التعليمية خلال هذه الفترة، وأثرها في تشكيل النخبة الثقافية والعلمية آنذاك.

1- أنواع التعليم:

1-1- التعليم الشعبي:

عندما أقبل الفاتحون المسلمون وفي مقدمتهم الصحابة والتابعون، الذين عاشوا ظروف الوحي مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، يحملون معهم مشعل الدعوة الإسلامية الجديدة ومبادئها لأهل الأمصار المفتوحة، فكانوا كلما فتحوا بلدا أو مدينة بنوا فيها المساجد والمؤسسات التربوية، وتركوا فيها بعض الصحابة والمعلمين والفقهاء لتعليم أهلها مبادئ الإسلام واللغة العربية.¹

ولا شك أن هؤلاء الصحابة والتابعين كانوا فاتحين ومعلمين ودعاة في نفس الوقت، بذلوا جهدا في سبيل ترسيخ الإيمان بالإسلام وبشرائعه ومبادئه في نفوس أهل المغرب ووجدانهم، فأدوا الأمانة ونقلوها الى الجيل الذي أتى بعدهم، فسار هذا الأخير على نفس الدرب في تنشئة وتربية الأجيال القادمة، الأخلاق الحميدة، وتلقين أهل المدن المفتوحة رسالة الإسلام واللغة العربية، فسار التعريب بخطى ثابتة جنبا الى جنب مع انتشار الإسلام.²

وكانت مظاهر التعليم في البداية تتجلى في شرح الآيات القرآنية وتفسيرها، ولاسيما منها الأمرة بالمعروف والناهية عن المنكر والمبشرة بالجنة، والمنذرة بالنار والمخبرة بخبر الأولين والمحكمة يعمل بها والمتشابهة يؤمن بها، والحلال الذي يؤخذ به والحرام الذي يتجنبه المسلم وأمثال واعظة.³

¹ عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002 ، ص338.

² المرجع نفسه، ص339

³ إسكان الحسن، جوانب من تاريخ التعليم في المغرب الوسيط بين القرن (7- 9 هـ)، ع كلية الآداب جامعة محمد الخامس، الرباط، 1988، ص08.

وقد تطور هذا التعليم الذي يمكن أن نطلق عليه مصطلح التعليم الشعبي العام، لأنه ضروري لكل المسلمين، حتى يعرف كل واحد منهم ما يضره وما ينفعه من العبادات والسلوكات.¹

ارتبط المسجد بالتعليم منذ ظهور الإسلام، وارتبط كارتباطه بالصلاة، فكما لا مسجد بدون صلاة كذلك لا مسجد بدون تعليم، فقد كان جامع الزيتونة مسجدا للتعليم في عهد الدولة الحفصية، حيث أخذ التعليم حظا عظيما به². وكان التعليم في المساجد مفتوحا في وجه جميع الناس على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم، كما أن كثيرا من المستمعين كانوا يأتون للاستماع إلى بعض الدروس العلمية، والنصائح الأخلاقية³، ومن بين الشيوخ الذين كانوا يدرّسون في هذه الحلقات وعلموا الناس الأحكام الشرعية وغيرها من المواعظ "أبو حسن بن علي بن محمد المسيلي" الذي درّس في الجامع الأعظم في بجاية⁴. وقد وصف لنا القلصادي في رحلته عند دخوله إلى تونس أنه درس على العديد من الشيوخ مثل "أحمد القلشاني"، و"محمد بن عقاب الفقيه" إمام في الفقه وأصوله وعلم الكلام وفصوله.⁵

¹ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج 1، دار الثقافة، بيروت، 1967، ص 48.

² الطاهر الحداد، التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة، تق تح: محمد أنور بوسنينة، الدار التونسية، 1981 ص 19.

³ روبر بارنشييفيك، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 م إلى نهاية القرن 15م، تع حمادي الساحلي، ج 2، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ص 374.

⁴ أحمد الغبريني، المصدر السابق، ص 68.

⁵ أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي، رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1985، ص 115-116.

1-2- التعليم الاحترافي:

أدخل عبد الرحمن بن خلدون مهنة التعليم الإحترافي، ضمن الصناعات المعاشية، ووضح اختلافه، عن التعليم الشعبي العام، الذي ظهر مع ظهور الدعوة الاسلامية، من حيث الأصول الإجتماعية، للإطارات الساهرة عليها، فقد تولى هذه المهمة، إبان الدعوة، وفي عهد الفتوحات جماعة من العرب تنتمي إلى القبائل ذات عصبية، بينما اتخذ من مهنة التعليم الاحترافي فيما يبدو - فئات اجتماعية متباينة.¹

يعتبر التعليم الإحترافي، تعليم موجه الى النشأ الذين تتراوح أعمارهم ما بين سبع سنوات، وعشرين سنة في الغالب، يعتمد في تلقيه على اللغة العربية الفصيحة، إلا أنه من الصعوبة تحديد السن، الذي يبدأ فيه الطفل التعلم بالكتاب وكذلك يتعذر علينا تحديد السن الذي ينتهي عنده من الدراسة، ولاسيما الطلاب، الذين كانوا يستمرون في مزاولة الدروس والتعمق في العلوم، بواسطة الرحلة والتنقل بين حواضر العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه، للاستزادة من العلم والمعرفة على كبار الشيوخ والعلماء، ثم يعودون إلى بلادهم ، وقد حصلوا على علم غزير، يؤهلهم إلى مصاف الشيوخ ويوئهم المشيخة العلمية للتدريس وإدارة المجالس، وتولي المناصب والخطط الادارية للدولة². ومن بين الشيوخ الذين قاموا بالرحلة العلمية للاستزادة والرجوع إلى بلدانهم للتدريس الفقيه أبي علي ناصر الدين المشدالي، الذي رحل إلى المشرق ثم عاد إلى المغرب بعلم كبير وتعليم مفيد، وأيضا أبو محمد عبد الله بن أحمد عبد السلام" الذي عُرف بابن الطير الذي استفاد منه الطلبة الخواص يقرؤون عليه الفقه وأصوله³. ونجد أيضا فقهاء وأدباء وأطبّاء التي

¹ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص48-49.

² عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ، ص343.

³ أحمد الغبريني، المصدر السابق ، ص194.

كانت تزدد منهم بجاية وتونس منهم "أبو محمد عبد الحق بن ربيع البيجائي"، "أبو فارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف"، "أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمان الغماري" وغيرهم من الفقهاء والعلماء والمدرسين في هذا العصر.¹

2- مراحل التعليم:

2-1- المرحلة الأولى (التعليم الابتدائي):

لقد ورث الحفصيون التراث الحضاري الذي خلفته دولة الموحدين، مما جعلهم يسبقون بني زيان وبني مرين في المضي قدما نحو التطور والتقدم، فكانت دولتهم بتونس تمثل ارقى ما وصلت اليه حضارة المغرب الإسلامي في القرن 7هـ / 13م وما بعده.

كان اذا بلغ الصبي الخامسة أو السادسة من العمر ساقه أبوه الى الكتاب وأوصى عليه المعلم بما يناسب واتفق معه على معين الأجرة، وعلى من يرافق الصبي الى المنزل في أوقات الانقلاب هذا اذا لم يكن للصبي أخ أو أخوة يصاحبهم في الذهاب والإياب وفي غالب الأحيان يوضح الاب للمؤدب المواد التي يريد تلقينها للصبي.²

السن المفضل الذي كان الفقهاء يفضلونه لدخول الطفل إلى الكتاب أو المكتب هو سن السابعة،³ وهو العمر الذي يأمر به الحديث النبوي الأولياء بإجبار أبنائهم على أداء الصلوات، وهو نفس السن الذي يبدأ فيه التعليم للأطفال، عند الشعوب القديمة مثل الفرس والرومان، وكان

¹ أحمد الغبريني، المصدر السابق ، ص29.

² ابن خلدون، المقدمة ، المصدر نفسه ، ص50.

³ المغراوي، جوامع الاختصار والتبيان، تح: احمد جلولي و رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص47.

يتعلم في الكتاب الذكور والاناث ولكن تعليم البنات - فيما يبدو - يقتصر على حفظ القرآن، وبعض المتون.¹

مما يلحظ على مناهج التعليم الابتدائي عند الحفصيين أنها كانت تقوم على حفظ القرآن الكريم مع تعلم الحديث وأساسيات العلم، إلا أنه ارتكز على حفظ القرآن الكريم باختلاف رواياته وقراءاته ثم الخط، فكانت بذلك أقرب إلى الذي كان منها في الأندلس منه إلى منهج آخر في بلاد المغرب، والسبب في ذلك يعود إلى هجرة العديد من مشيخة وعلماء الأندلس نحو بجاية واستقرارهم بها، ناشرين معارفهم ومناهجهم التعليمية.²

يشير ابن خلدون إلى منهجية التعليم عند الحفصيين بقوله: "... وأما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن الكريم بالحديث في الغالب، ومدارسه قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه³...

لقد جعل الحفصيون التعليم مجانياً حتّيشجعوا الناس على الإقبال عليه، بل أن أبا زكرياء الثاني منح الطلاب في مدرسته المعرضية منحة من الذهب والفضة حتى يحفزهم على التعليم، وجعل لشيخ المدرسة عشرة دنانير من الذهب في الشهر، وفتح نافذة من منزله الملاصق للمدرسة حتى يسمع ما يدرس.⁴

¹ أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابسي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1955، ص 292.

² ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، المصدر السابق، ص 1040.

³ المصدر نفسه، ص 1039-1010.

⁴ محمد العامري، تاريخ المغرب الإسلامي والاندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1980، ص 118.

لقد كان الأساتذة يتلقون مرتبات مقابل الدروس، وكانت تحدد من طرف المحبس. فعندما أسس السلطان أبي حفص عمر المدرسة المعرضية خص المدرسين براتب قدره عشرة دنانير في الشهر.¹

كان الطلاب يخضعون لنظام تعليمي شديد الوطأة، إن كانوا يقرأون من الصباح إلى المساء في مختلف العلوم، كما أنهم معرضون للتوبيخ والعقاب عند التقصير في الدرس.²

جرت العادة أن يجلس الشيخ والطلبة على البسط أو على كراسي خشبية عليها البسط، ويراعى بعض المبادئ التربوية وأدبياتها، والتي أشار إليها ابن خلدون، كالترج في التعليم، بحيث يبدأ بالأسهل ثم الأصعب، وبتبسيط المعلومات، وتشويق الطلاب للدروس، وخلق روح المنافسة بينهم وتشجيع المتفوق فيه ماديا وأدبيا، ويتميز التدريس بالرواية الشفوية أو ما يسمى بالتلقين، الذي يتولد عنه احترام السند والمتن، ويتكلف أنجب طلاب الحلقة أو المجلس بقراءة النص، من الكتاب المقرر، ويسمى بقارئ المجلس، وطريقة التعامل مع النص، تختلف من شيخ إلى آخر، فمنهم من يتخذ من المتن محور المناقشة والبحث.³

2-2- المرحلة الثانية (التعليم العالي - الثانوي):

المرحلة الثانية هي المرحلة التي تلي مرحلة الدراسة بالكتاب التي يكون فيها الطالب قد حفظ القرآن وألم بمبادئ الكتابة والقراءة والعربية، والقراءات في المتون وبعض العلوم الأخرى⁴، فبعد الانتهاء من مرحلة التعليم الابتدائي يتم الانتقال إلى مرحلة أكثر تطورا وشمولية للعلوم هي

¹ الزركشي، المصدر السابق، ص51.

² جميلة مبطي المسعودي، المرجع السابق، ص171.

³ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص147.

⁴ المرجع نفسه، ص353.

مرحلة التعليم العالي أو الثانوي، تتسم هذه المرحلة بحرية الطالب في اختيار المواد التعليمية انطلاقاً من استعداداته وطاقته الفكرية، كما كان له مطلق الاختيار للأساتذة الذين سيتتلمذون عليه في أية مادة من المواد التي يريدونها.¹

قد كانت طريقة التعليم العالي قديماً تعتمد على النقل والمتمثلة في النقل الشفهي للنصوص عن طريق السرد من طرف الشيخ امام تلاميذه، وبحلول القرن العاشر أضيفت طريقة جديدة وهي طريقة الالتقاء الأكثر حيوية والتي تتمثل في اللقاء الشيخ بعض الأسئلة على تلاميذه ومناقشة المواضيع المطروحة في ان واحد من طرف التلاميذ وشيخهم.²

كان الشيوخ والمدرسون في هذه المرحلة يراعون المستويات العلمية للطلبة بحيث يقسمونهم الى مجموعات عكس المرحلة الأولى في الكتاب الذي يعتبر الفصل بين الصبيان امرا منها عنه³، ومن بين الذين انتقدوا الطريقة القديمة العالم الشهير ابن عرفة⁴، فقد كان يطالب الشيوخ والكتاب بشيء من التجديد، فحسب رأيه تقدم الدراسات مرهون بتعمق النظريات التي يتلقاها الدارس، ذلك من خلال تسليط الضوء على بعض النقاط الغامضة واثارة بعض الإشكاليات الجديدة.⁵

¹ فيلاي عبد العزيز، المرجع السابق ، ص 347

² روبر برنشفيك، المرجع السابق، ص374.

³ أحمد الغبريني، المصدر السابق، ص376.

⁴ محمد ابن محسن بن عرفة الورغمي التونسي: المالكي في الأصول والفروع العربية، والمعاني والفرائض والحساب ، ولم يكن بالمغرب من يجري مجراه توفي سنة 803هـ، ينظر: الوزير السراج، الحل السندسية ، في الاخبار التونسية، ج1، القسم 3، ص579.

⁵ روبر برنشفيك، المرجع السابق، ص379.

لعل أفضل طريقة التعليم حسب ابن خلدون هي التي تستوجب التدرج على مراحل توخيا للعمق والاتقان فيشرع الأستاذ في القاء الخطوط العامة المراد تعلمها فصلا فصلا، ثم يشرع في شرحها مع مراعات الاستدلالات الفكرية للمتعلم لكي تكون لديه ملكة مبدئية حول ذلك العلم ثم يعود الأستاذ ويتناول بعمق فيشرع في التعليق والشرح والمقارنة بين الاختلافات في كل الآراء الواردة فيلم الطالب بالمجمل المفصل، والمختلف حوله فتتكون لديه القدرة على المناقشة والتحليل، ثم يعود الأستاذ ثالثة فيؤكد مما تعلمه طيلة ويتفقد أي غموض ويزيله بالتوضيح.¹

مع منتصف القرن السابع هجري طرأت تطورات على طرق التعليم العالي خاصة في زمن ابي عبد الله شعيب²، وزاد القاضي بن عبد السلام³، في تطويرها وأثناء عرض ابن خلدون ملاحظاته للأساتذة التربية والتعليم في تاريخ المغرب، ويذكر أبو القاسم ابن زيتون في أوساط المائة السابعة الذي نقل أسلوب التعليم من الشرق الى تونس⁴، وتقوم هذه الطريقة على البحث والتحليل إعطاء التفكير أهمية كبيرة، دون جعل التعليم يقتصر على الحفظ.⁵

2-3- المشيخة:

يقوم بتدريس الطلاب في المساجد والمدارس أساتذة وشيوخ متضلعون مبرزون في مواد مختلفة، يعينون بواسطة ظهير سلطاني، في المؤسسات التعليمية بالمدينة، وربما كان لهؤلاء

¹ مريم بوعامر، الهجرة الاندلسية الى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري ما بين القرن 7 و 9 / 13 و 15م، رسالة ماجستير في تاريخ الغرب الإسلامي، قسم التاريخ، تلمسان، 2010/2009، ص 67-68.

² أبي عبد الله شعيب: هو فقيه ومتصوف أصله من مسكورة من المغرب، ولي بلدة القيروان لكنه عزل وبقي عاكفا على العلم والعمل الى ان توفي، انظر: الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 173-174.

³ أبو عبد الله محمد بن عبد السلام: الهواري التونسي، قاضي الجماعة فيها، كان علامة وفقهيا متبحرا في العلوم العقلية والنقلية محققا، تولى التدريس والفتوى بتونس وتولى أيضا القضاء ، وتوفي سنة 749، ينظر: ابن فرحون،

⁴ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 590.

⁵ مريم بوعامر، المرجع السابق، ص 67.

الأساتذة معيدون ونواب، فالمعيد هو الشخص الذي يعيد الدرس بعد أن يلقيه الشيخ، فهو اذن معينه على نشر علمه، وإلقاء دروسه وتثبيت املائه على الطلبة شرحا وبسطا، كما هو معين للطلبة على إعادة المحفوظات. والمراجعة والمذاكرة، فهو دون الشيخ دراية وأعظم معرفة من عامة الطلبة، وجرت العادة أن يكون للأستاذ الواحد معيد واحد، وقد يكون له معيدان، والظاهر أن هذا المنصب كان شائعا في بلاد المشرق أكثر منه في بلاد المغرب.¹

كانت هذه المرحلة تقوم على الرحلة كما يقول ابن خلدون عن طريقة الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كما في التعليم، والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم تارة علما وتعليميا وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها.²

كان الدارسون عند تقدمهم في الدراسة يحضرون الحلقات العلمية التي كانت تعد بالمساجد الكبيرة كالمسجد الأعظم ببجاية، وجامع الزيتونة بتونس.³

¹ أحمد الشتيوي، مظاهر الحضارة من خلال رحلات المغاربة والأندلسيين وثقافتهم بين القرنين السادس والثاني عشر الهجري (12-18) دكتوراه دولة، كلية الآداب، جامعة تونس، 1988، ص96.

² ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، المصدر السابق، ص635.

³ أحمد الغبريني، المصدر السابق، ص25.

ومن الشيوخ من كان يكره المراجعة والاستفسار، ومنهم من كان يتواضع في مجلسه حتى لا تميزه من بين طلابه، ومنهم من كان لا يتواني في توبيخ الطلاب على تهاونهم، فربما طالبهم في أول درس اليوم بإعادة درس الأمس، ومن الشيوخ من كان يأمر طلبته بتقييد تقاريرته وأبحاثه، ومنهم من كان لا يتسامح في أدنى غلط فيبالغ في التأنيب والعتاب، ويشترط فيه أيضا أن يكون كبير السن ناضجا يفوق الأربعين سنة، ومن المدرسين الذين تولوا هذه المهنة في سن مبكرة في القرن الثامن الهجري، عبد الله بن محمد الشريف التلمساني (ت 792 هـ)، الذي درس في حياة أبيه وهو دون الأربعين سنة¹، أما الاعتزال عن التدريس فلا يقرره إلا الطلاب عندما يرون بأن الأستاذ قد تراجع عنه الصفاء الذهني، والملكة العقلية، بسبب الشيخوخة، فيتركون الأخذ عنه، وكان الأساتذة، يعتنون بالجانب المظهري، فقد تميزوا بإرتداء الملابس البيضاء من برنس وعمامة، لا يشاركونهم في هذا المظهر إلا كبار رجال المخزن.²

3- نظام التدريس والإجازة :

3-1- نظام التدريس:

كان لهجرة العلماء والادباء من الاندلس إلى المغرب الاسلامي أثرها الواضح في كافة الميادين خاصة الميدان الثقافي، حيث اشتغل المهاجرون في مجال التعليم في بلاد المغرب الاوسط، وتميزوا بحبهم للعلم واهتمامهم الكبير به، فكان العالم معظما عندهم سواء عند الخاصة والعامة، ولتفوقهم العلمي وانتشار المعرفة بين صفوفهم، ولامتلاكهم هذه الصفات العلمية المميزة،

¹ احمد بابا التتبيكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات دار الكاتب، طرابلس، 2000، ص150

² العمري، مسالك الابصار القطعة المنشورة في ورقات عن الحضارة المغربية للمنوني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ص 305.

أدى إلى تأثر سكان بلاد المغرب بهم، فزاد الاقبال عليهم بشكل كبير.¹ واتسع مجال التأثير ليشمل طرق الكتابة ورسم الخط، إذ صار الخط الاندلسي نموذجاً يحتذى به، وغلب الخط الاندلسي على الخط المغربي في أنحاء بلاد المغرب المختلفة التي حل بها المهاجرون.²

أما عن طريقة التدريس فلم يكن هناك طريقة معينة ولا منهج متبع، فلم يكن هناك كتب محددة للدراسة، وإنما لكل شيخ طريقته ومنهجه في التدريس، فمثلاً الشيخ محمد الرماح كلف تلاميذه بأن يتولوا عنه كل صباح تدريس التفسير والحديث وفروعهما وكلف آخرين بتدريس النحو والفرائض والحساب، وكان كليوم جمعة يجتمع مع هؤلاء المدرسين فيعرضون عليه ما أشكل عليهم، و كان الطلاب يخضعون لنظام تعليمي شديد الوطأة، فهم يقرؤون من الصباح إلى المساء في مختلف العلوم ، كما أنهم معرضون للعقاب والتوبيخ عند التقصير في الدرس.³

كانت مدة الدراسة في هذه المؤسسات التعليمية خمس سنوات، ويرى ابن خلدون هذا دليل على تفوق أهل تونس، لأن الدراسة في بلاد المغرب ستة عشر عاماً، مع تنوع برامج الدراسة كذلك، أما العطل فهي قليلة إذا ما قيست بالعطل في الوقت الحاضر، فكانت أيام الأعياد (عيد الفطر المبارك، وعيد الأضحى) إضافة إلى يومي الخميس والجمعة، ويبدو أن المدرسة الشماعية شذت عن هذا النظام حيث أضاف شيخها ابن القداح يوم الاثنين إلى يومي الخميس والجمعة.⁴

¹ المقري الشهاب الدين، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: البيهقي، ط1، بيروت، دار الفكر للطباعة، 1998، ص181.

² بلعربي خالد، مساهمة الجالية الاندلسية في الحركة العلمية بتلمسان خلال العهد الزياني، مجلة دراسات ، جامعة بشار ، العدد5، 2014، ص167.

³ محمد بن الخوجة، معالم التوحيد، المطبعة التونسية، تونس، 1939/1358، ص 222.

⁴ روبر بارنشيبيك، المرجع السابق، ص 378

ويتضح أن الطريقة السائدة هي طريقة الإلقاء والتي تتمثل في إلقاء الشيخ بعض الأسئلة على تلاميذه ومناقشتهم في المواضيع المطروحة، فحسب " الغبريني".¹

بالنسبة للمعلمين فقد كان السلف - رحمهم الله- يشترطون مع ذلك على المعلم ان يتخلى عن كل شئى للتعليم، وان لا يشتغل بغير صناعته، وان يعمر أوقات فراغه بالنظر فيما يعود على تلاميذه بالنفع والفائدة في تعليمهم، ومراقبة غدوهم ورواحهم واعلام أوليائهم عن مغيبهم بلا عذر، وحجروا عليه اتخاذ العريف يقوم مقامه ما لم يكن في مرتبته العلمية و أخلاقه المرضية، بحيث يكون المؤدب منقطعا بنفسه تمام الانقطاع للتدريس والتربية حتى أنهم منعوا عليه عيادة المرضى وتشجيع الجنائز.²

أما عن طريقة التدريس فلم يكن هناك سبيلا ولا منهجا متبعًا، فالكتب كانت بسيطة وغير محددة للدراسة، وكان لكل شيخ طريقته ومنهجه في التدريس، فهناك من كان يقسم اليوم إلى ثلاث حصص³:

الأولى: بعد صلاة الصبح تخصص لتفسير القرآن الكريم.

الثانية: من الضحى إلى آذان الظهر تخصص للفقهِ ومبادئه ويحضرها 15 طالبا.

الثالثة: وتكون بعد صلاة الظهر يحضرها الطلبة الكبار ولا يتعدى عددهم 10 طالب، وتكون عادة لتجويد القرآن الكريم إلى آذان المغرب وفيما بعد تتحول إلى زاوية من الزوايا، وبعد العشاء يعود الشيخ لبيته لتحضير درس الغد.

¹ الغبريني، عنوان الدراية ، المصدر السابق، ص 356.

² محمد بن سحنون، أَدَابُ المعلمين، ط2، تح: حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة المنار، تونس، 1971، ص49.

³ جميلة مبطي المسعودي، المرجع السابق، ص173-174.

3-2- طرق ومناهج التدريس:

في هذا العهد نهضت الثقافة نهضة لم يشهدها المغرب من قبل ، فقد انتشر التعليم بواسطة الكتاتيب والمدارس والمساجد والزوايا، وقد جلب لها الامراء الأساتذة من الاندلس ومن طرابلس وغيرهما، واسكنوا بها الطلبة، وقاموا باطعامهم وجعلوا لهم فيها مكتبات، فقامت بأكبر قسط في تكوينهم تكويناً جامعياً.¹

قد مر التعليم في هذا الزمن بالعديد من المراحل واختلفت فيه طرق التدريس، ففي أول ما يعلم به الأطفال هو القرآن، كما قال ابن خلدون: " اعلم ان تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين²، وقال أيضا: انه اختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلافهم ما ينشئ عن ذلك من الملكات ومما لاحظنا ان مراحل التعليم كانت بالتدرج، كما قال ابن خلدون: ' اعلم ان تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيدا اذا كان على التدرج شيئا فشيئا وقليلًا قليلًا، يلقي عليه أولا مسائل من كل باب من الفن، هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الاجماع، ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يورد عليه حتى ينتهي الى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم الا انها جزئية وضعيفة ، وغايتها انها هيئاته لفهم الفن وتحصيل مسائله، ثم يرجع به الى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة الى اعلى منها، ويستوفي الشرح والبيان، ويخرج عن الاجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه الى ان ينتهي الى آخر الفن، فتجود ملكته ثم يرجع وقد شدا فلا يترك عويصا ولا مبهما ولا منغلقا الا وضحه وفتح له مقوله فيخلص من الفن وقد استوى هـى ملكة.³ لان لمؤدب يعلم الأطفال القراءة والكتابة وترتيل بعض الصور التي كانوا

¹ أبو عامر أحمد، الدولة الحفصية صفحات خالدة من تاريخها المجيد، دار الكتب الشرقية، تونس، 1974، ص65.

² ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص632.

³ المصدر نفسه، ص627.

يرددونها بصوت واحد، وكانت العقوبات البدنية متكررة ، فكان المؤدب يضرب الطفل الذي يرتكب خطأ بلوحة الكتابة او بالعصا، وإذا كانت الحالة خطر يضرب بالسوط او يسدد اليه ضربات على باطن قدمه، وقد كانت مثل تلك العقوبات لا تخلوا من خطورة بالنسبة الى الأطفال المعاقين.¹

كانت طريقتهم في التدريس اقرب بطريقة اهل الاندلس ففي بجاية تختلف باختلاف الشيوخ الذين كان يقرأ عليهم، فمنهم من كان يعتمد على الطريقة التقليدية، ومنهم من كانت طريقتهم تعتمد على الحوار والمناقشة والتعمق والبحث والتعليل، كأبي عبد الله محمد بن الحسن بن علي القلعي ان منهجه كان له درس يحضره من الطلبة فضلاؤهم ونبهاؤهم وتجري فيه المذكرات المختلفة في التفسير والحديث وأبيات الغريب وغيرها وتمضي في ذلك المعاني المنتجة ما لا يكاد ان يوجد مثله في نوادر الكتب، وكان قويا في التصريف وفي التعليل جاريا فيه على سنن ابي الفتح بن جني.²

كان للتعليم أصول الفقه وأصول الدين طريقتان هما: طريقة الاقدمين وهي طريقة أبي المعالي وغيره وطريقة المتأخرين وهي طريقة فخر الدين الرازي وكان أبو العباس أحمد بن خالد يؤثر الطريقة الأولى عن الثانية بينما كان أبو العباس أحمد بن عيسى الخماري يؤثر الثانية، ويتعصب³، ولا شك ان هذه الطريقة الحوارية الفعالة تدل على نقد أساليب التعليم في هذا العصر، وعلى تطور الدراسات الفقهية واللغوية، ورواج الدراسات المنطقية على طريقة المتقدمين والمتأخرين، ودخلت طريقة جديدة في الدراسة على الطريقة القيروانية وما تفرع عنها بدخول الجدل والمنطق في العلوم الشرعية.⁴

¹ روبرت بونشفيك، المرجع السابق، ص375.

² أحمد الغبريني، المصدر السابق، ص67.

³ المصدر نفسه، ص73

⁴ ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص30.

انقسم برنامج التدريس حسب ما ذكر بمدارس القيروان إلى ثلاث حصص، الأولى خصصت للعامة، وقد احتوت على حصة صباحية منها تلاوة القرآن وتفسيره، والحديث والوعظ وحكايات الصلحاء وكتب السيرة، أما المسائية فقد خصصت للافتاء والتجويد على مرحلتين الأولى لطلبة المدينة بالمسجد والثانية للطلبة الغرباء، اما الحصة الثانية فهي مخصصة للطلبة المبتدئين، احتوت على شروح الكتب الفروع، وحصة ثالثة الى الطلبة الكبار الذين انصرفوا لقراءة كتاب التهذيب البرادعي.¹

كانت مناهج الدراسة في هذا العقد تركز على جمع عناصر الثقافة المفننة في وحدة تكاملية امتزاجية، تتولد عنها ملكة راسخة، تمكن الخريج من معالجة المباحث للتحقيق والتوليد والابتكار بالتخصص المبني على المشاركة الواسعة اذا لم تكن العلوم نقلا وتلقينا، بل كانت تكوينا وتوجيها لتوسيع نطاق المعارف بالبحث والانشاء والتحرير.²

3-3- الاجازة:

بعد الدراسة المعمقة والبحث المستفيض والحفظ المركز، يتوج الدارس بشهادة يمنحها أياه شيوخه، وهي المعروفة في العصر الوسيط بالاجازة³، ولها مرادفات كالبرنامج والفهارس، وهي عبارة عن مصنفات يذكر فيها الشيوخ والاساتذة، الذين تتلمذوا عليهم في مختلف الحواضر الاسلامية والمقررات الدراسية التي درسوها وأجيزوا فيها. لأن طلاب تلمسان كغيرهم، لم يكتفوا

¹ خليفة الشاطر وآخرون، تونس عبر التاريخ من العهد العربي الإسلامي إلى حركة الإصلاح، مطبعة سناكت، تونس 2007، ص150-151.

² ابن عامر احمد، المرجع السابق، ص66.

³ الإجازة: هي أذن وتسويغ، وهي أذن من المعلم لتلميذه بنقل العلم عنه، وقد بدأت مع علم الحديث، وقد ساعدت على نقل العلم وتطوره، ينظر: ابن غرحون، الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، تح: محمد الاحمدي أبو النور، دار التراث العربي، القاهرة، 1972، ص252.

بالإجازة التي حصلوا عليها من علماء بلدهم، بل كانوا ينتقلون إلى أماكن عديدة لينالوا شرف الإجازة منها.¹

الإجازة تدل على المستوى العلمي الهام، الذي وصل إليه الطالب بعد أن أخذ من المعرفة والعلوم، ما يهيئه إلى إجازة تدريس الكتاب أو الكتب المجاز بها، أو رواية الحديث المأذن له في روايتها، وأن يكون المجيز عالما لما يجيز به ثقة في دينه وروايته معروفا بالعلم، وأن يكون المستجيز من أهل العلم متسما بسمته²، فبعد هذا التتويج بالإجازة، يصبح الطالب شيخا وهو لقب الأستاذية، التي تجعله في مصاف العلماء والفقهاء والأدباء، له مكانته في المشيخة العلمية، ومن الإجازات التي عرفها علماء الدولة الحفصية: إجازة أبي جعفر الليلي العبدي الرحالة وكانت هذه الإجازة بتونس، وإجازة عبد الرحمان الدباغ صاحب المعالم للعبدي بالقيروان، وأيضا إجازة عبد البر التنوخي من علماء الزيتونة للبلوي.³

¹ أحمد شلبي ، تاريخ التربية الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية، مصر ، 1973 ، ص 267

² المرجع نفسه، ص 267.

³ إسماعيل سامعي، معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 309.

الفصل الثاني:

المؤسسات التعليمية في الدولة الحفصية

(981/627 هـ - 1573/1227 م)

6- المساجد و الكتاتيب:

1-6- المساجد.

1-7- الكتاتيب.

7- الزوايا والربط:

2-7- الزوايا.

2-8- الربط.

5- المدارس و المكتبات مركزا تعليميا:

5-1- المدارس.

5-2- المكتبات " مركزا تعليميا.

➤ تمهيد:

شهدت الدولة الحفصية ازدهاراً علمياً وثقافياً ملحوظاً، انعكس بشكل واضح في تعدد مراكز التعليم وتنوعها، سواء في المدن الكبرى أو المناطق الداخلية. وقد لعبت المؤسسات الدينية والعلمية دوراً محورياً في نشر المعارف الدينية واللغوية، وتكوين النخبة العلمية التي أسهمت في ازدهار الفكر الإسلامي في بلاد المغرب. وتنوعت هذه المراكز بين المساجد التي كانت المعلم الأبرز للتعليم، والكتاتيب التي اهتمت بالتعليم الأولي وتحفيظ القرآن، إلى جانب المدارس التي اعتمدت نظاماً تعليمياً أكثر تنظيمًا وارتبطت بالوقف. كما برز دور الزوايا والربط، لا سيما رباط المنستير، كمراكز جمعت بين الزهد والتعلم، وأسهمت في نشر العلوم الصوفية والشرعية. بالإضافة إلى ذلك، ساهمت المكتبات في حفظ التراث وتوفير مصادر المعرفة للطلبة والعلماء. ويهدف هذا الفصل إلى إبراز الأبعاد التعليمية لهذه المؤسسات، وتسليط الضوء على إسهاماتها في الحركة العلمية خلال العصر الحفصي.

1- المساجد و الكتاتيب:

1-1- المساجد:

ساهمت الجوامع في إنعاش الحركة العلمية، فجامع الزيتونة، كان يزخر بعدد كبير من طلبة العلم قدر عددهم بثلاثة آلاف طالب¹، وقد أطلق على بعض المساجد المسجد الجامع" والتي تميزت بنظامها التعليمي الخاص فلم يكن للصغار التعلم فيها بل كانت مخصصة لتعليم الكبار ومجالسة العلماء.²

ظهرت في بلاد افريقية عدة مساجد وجوامع لعبت دورا كبيرا في ظهور نخبة من المفكرين والعلماء بتونس ومن اهم هذه الجوامع جامع القيروان³، و قدرت المساجد والجوامع في تونس في العهد الحفصي بمائتي جامع ومسجد كانت كلها تقوم بدور العبادة والتعليم وهما دوران لا يمكن الفصل بينهما⁴، كما تميز العهد الحفصي على العهود التي سبقته على ارتقاء مدينة تونس إلى درجة عاصمة دولة رفيعة الشأن فترتب على ذلك ازدهار في عمرانها وظهور مساجد وجوامع للخطبة، وهي جامع القصبة وجامع القصر وجامع الهواء.⁵

جامع الزيتونة⁶ لم يكن جامعا فحسب بل هو جامعة أيضا حيث تم التدريس فيه لمواد الأدب والتاريخ والفلسفة الدينية واللغوية، ويتبع الجامع بمكتبة تضم مخطوطات نادرة، حقق

¹ عبد العزيز الدولاتي، مدينة تونس في العهد الحفصي، تع: محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتي، ط1، دار سراس للنشر، تونس، 1981، ص 141.

² مريم بوعامر، الهجرة الاندلسية إلى المغرب الأدنى و دورها في الازدهار الحضاري ما بين القرن 13 و 15هـ، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، تلمسان، 2010/2009، ص 69

³ القيروان: هي اول مدينة إسلامية في المغرب العربي انشاها عقبة بن نافع عام 670م أصبحت عاصمة لدولة الغالبة في القرن التاسع الميلادي، واشتهرت القيروان بمسجدها الجامع الذي بناه القائد عقبة بن نافع وهو اول جامع في شمال افريقية كان بناؤه عام 670م.. انظر: حسان حلاق، مدن وشعوب اسلامية، دار الراتب الجامعية سوفنير، د ن، د ط، د س ن، ص 158.

⁴ جميلة مبطي المسعودي، المرجع السابق، ص134.

⁵ خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956م، دار البصائر، دم ن، طبعة خاصة، 2009، ص695.

⁶ انظر الملحق رقم (5)، ص69.

الفصل الثاني: المؤسسات التعليمية في الدولة الحفصية (981/627هـ - 1573/1227م)

بعضها المحققون من العرب والمستشرقين وكانت تضم حوالي أربعين ألف مخطوط نقلت بعضها إلى معاهد العلم والجامعات منها جامعة تونس، وذلك ليتسنى للباحثين العرب والاجانب من الاطلاع عليها ودراستها،¹ واستمر التعليم بالزيتونة وتطور بتطور العصر وتطور العلوم حتى أصبح لا يقل مكانة عن جامع القرويين بفاس أو الازهر بالفسطاط، وهكذا كان جامع عقبة بن نافع والزيتونة من منابر العلم بإفريقية ولعب دورا مهما في تخريج عظماء العلماء في سائر العلوم السائدة يومئذ وبخاصة علوم اللغة والحديث²، وكان تلاميذ الكلية الزيتونة خاضعون لنظام شديد لا يعرفون غير القراءة والمطالعة من الصباح إلى المساء، واكثرهم من أبناء الديار التونسية، اما رفقاتهم أبناء الحاضرة فسكانهم بديارهم، اما التلاميذ أفقيون فسكانهم في المدارس.³

قام أبا زكرياء يحيى ابن أبي إسحاق الأول (647-625هـ / 1249 - 1228م) ببناء جامع القصبة⁴ وصومعته الغربية الصنع، وكتب إسمه عليها وهو أول من أذن فيها لصلاة الصبح، وبنى المدرسة الشماعية وجدد رسوم القصبة.⁵

مسجد الملاسين أسسه الخليفة أبو عبد الله المنتصر (838 هـ - 1234م)⁶، وجعل السلطان أبي فارس جامعا للخطبة في الزاوية التي بسيجوم.⁷

كما كان أيضا سلاطين الدولة الحفصية يولون اهتماما بالتدريس في شتى المجالات، فقاموا بمنح الإعانات للمدرسين في الجوامع، وشيوخ الزوايا لمساعدتهم ماديا وتشجيعهم على

¹ حسان حلاق، مرجع سابق، ص 157

² بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب خلال القرن 4هـ/10م، دار المدار الاسلامي، لبنان، 2003، ص81

³ محمد ابن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، ترجمة: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986، ص286.

⁴ انظر الملحق رقم (4)، ص68

⁵ عبد العزيز الدولاتي، المرجع السابق، ص 84.

⁶ عبد العزيز الدولاتي، المرجع السابق، ص261.

⁷ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص146.

الفصل الثاني: المؤسسات التعليمية في الدولة الحفصية (981/627هـ - 1573/1227م)

العمل، والضغط عليهم في آن واحد، كما كانوا يقومون بتعيين المدرسين في الغالب وخاصة في المدارس التي تأسست بعناية السلطان أو بعض كبار رجال الدولة في مدينة تونس وفي بعض المدن الأخرى مثل قسنطينة وطرابلس.¹

1-2- الكتاتيب:

تعد الكتاتيب² من أسبق أنواع المعاهد العلمية وجودا في العالم الاسلامي، بدأ تأسيس الكتاب في النصف الأول من القرن الأول، وذلك بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب حيث رتب الولاة الفقهاء القراء يعلمون النشأ تعاليم الدين والقرآن الكريم، ومنذ ذلك أصبحت تتكاثر تكاثرا سريعا³، ولم يزل شأن الكتاتيب في نمو وعددها في ازدياد وتكاثر في العاصمة وفي المدائن الإفريقية الكبيرة كتونس وسوسة وصفاقس حتى لم يتخل منها درب من الدروب أو حي من الأحياء وربما تعددت الكتاتيب في الحارة الواحدة مثلما تعددت المساجد في الحارات ولا عجب أن اعتبرت الكتاتيب في القديم كملحقات بالمساجد وتوابعها بل إنها وجدت أيضا في دور الأعيان والأغنياء، وبالأحرى في قصور الوزراء والأمراء.⁴

كان التعليم في دولة بني حفص كغيرها من دول المغرب الاسلامي يتم في الكتاتيب لتليها مرحلة المساجد⁵، وكان السلف رحمهم الله- يشترطون مع ذلك على المعلم أن يتخلى عن كل شيء للتعليم، وأن لا يشتغل بغير صناعته، وأن يعمر أوقات فراغه بالنظر فيما يعود على

¹ روبر بارونشفيك، المرجع السابق، ص 377

² الكتاتيب القرآنية: عبارة عن حجرات صغيرة مجاورة للمساجد تخصص للتعليم الصبيان الصغار، بدلا من تدريسهم في المساجد المخصصة للصلاة، انظر: محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين تح: محمود عبد المولى، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981، ص 87

³ رشيد يمانى، الإنتاج الفكري في النغر الأدنى الأندلسي خلال القرن 7 و8 الهجريين، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، تلمسان، 2010/2009، ص 57.

⁴ محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، تح: محمد العروسي المطوي، تح: حسن حسني عبد الوهاب، تونس، 1972، ص 37-38

⁵ ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1967، ص 134. ينظر أيضا: الزركشي، المرجع السابق، ص 26.

الفصل الثاني: المؤسسات التعليمية في الدولة الحفصية (981/627هـ - 1573/1227م)

تلاميذه بالنفع والفائدة في تعليمهم، ومراقبة غدوهم ورواحهم، وإعلام أوليائهم عن مغيبهم بلا عذر، وحجروا عليه اتخاذ العريف يقوم مقامه ما لم يكن في مرتبته العلمية وأخلاقه المرضية، بحيث يكون المؤدب منقطعاً بنفسه تمام الانقطاع للتدريس والتربية حتى أنهم منعوا عليه عيادة المرضى وتشجيع الجنائز.¹

فرضوا عليه المساواة التامة في تعليم أبناء الأشراف والفقراء لا فرق بين الحقير والغني، بل هما سواسية في ذلك قال الإمام محمد بن سحنون «يسحب العدل في التعليم، ولا يفضل فيه بعضهم على بعض ولو تفاضلوا في الجعل، إلا أن يبين ذلك لوليه في عقده، ويكون تفضيله في وقت غير وقت تعليمه للصبيان وهو حينئذ ما نسميه بالدروس الخصوصية.²

مهما كانت عناية السلف بإيجاد الكتاتيب وإنماء عددها وإقبالهم على تحسين طرق تعليمها فإنهم لم يعيروا تنميقها وتكليف بنائها أية أهمية، فكان الكتاب على مدى العصور بناية بسيطة في الغالب على هيئة البيت المربع أو المستطيل لم تزخرف جدرانه أو قاعته بأدنى تنميق من زخرف البناء، ولم يكن تأثيثه بأكثر عناية من ذلك، فإنه كان مفروشا بحصر بلدية عادية يجلس عليها الصبيان متر بعين حول المعلم الذي يختص بسرير أو كرسي مرتفع وربما عوض الكرسي بمصطبة مبنية دكانة ليس عليها من الرياش سوى بساط بسيط.³

أما عن أوقات التعليم - فيما مضى - فليس لدينا ما ينبئ على تعيين ابتدائها صباحاً ولا وقت انتهائها مساءً وغاية ما تعلمه في خصوصها ما روي عن أحد مشاهير علماء القيروان قال الونشريسي: ومثل أبو طيب عبد المنعم بن خلدون الكندي توفي بالقيروان سنة (421 هـ) هل يجلس المعلم من الصبح إلى المغرب، أو عند طلوع الشمس إلى عند الإسفار؟ فأجاب أما وقت جلوس المعلم وقيامه فبحسب العرف، وما تعاوده أهل التعليم في كل بلد.⁴

¹ محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص 49.

² المصدر نفسه، ص 50.

³ المصدر نفسه، ص 55.

⁴ المصدر نفسه، ص 46.

الفصل الثاني: المؤسسات التعليمية في الدولة الحفصية (981/627هـ - 1573/1227م)

أهم المواد المدروسة في هذه المرحلة، هو القرآن الكريم، لأنه أصل التعليم ومنبع الدين والعلوم، فقد جعلوه في مقدمة ما يتعلم الطفل حفظا وكتابة، لأن تعليم الصغار أشد رسوخا، وحفظا وهو أصل لما بعده، حسب تعبير ابن خلدون.¹

يبدو أنه كان يوجد للأطفال نوعان من المعلمين في هذه المرحلة، الأول ويدعى: المعلم الملقن، وهو المدرس المكلف بتعليم القرآن وتحفيظه دون كتابته على الألواح تنزيلها لكتاب الله عز وجل عن ابتذال الصبيان له بالاثبات والمحو، وهو السبب ذاته تقريبا الذي جعل الفقهاء يستنكرون تعليم الصبيان في المسجد، لأنهم لا يتحاشون النجاسة، والثاني: وهو المعلم المكتف بالمكلف بتعليم الصبيان الخط ولا يعلم غيره، فكان يرسم خطأ نموذجيا يقلده الصبي، ويحذو حذوه، وكثيرا ما كانت هذه النماذج الخطية من الأشعار و سواها ولعل هذه الطريقة كانت سائدة في بلاد المشرق، ويبدو أنها وصلت إلى بلاد المغرب متأخرة.²

2- الزوايا والربط:

2-1- الزوايا:

لقد كان للزوايا³ دورها البارز في الحياة الدينية والاجتماعية خلال هذا العهد، حيث كان الناس يجتمعون فيها للذكر وتلاوة القرآن وللزوايا أنواع فمنها البسيطة التي لا تنتمي لطريقة أو

¹ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 345.

² المرجع نفسه، ص 346.

³ الزوايا: وهي عبارة عن مجموعة من الأبنية لتحفيظ القرآن الكريم و التعليم و لإقامة الطلبة وعابري السبيل، كما كانت أماكن لإقامة الصلاة وكان ينشئها أهل الخير ورجال الطرق الصوفية من أموالهم الخاصة، أو يشترك جماعة في إنشائها ويوقفون عليها أوقافا لتغطية نفقاتها، وتوكل إدارتها إلى ناظر وجماعة من المساعدين، انظر: مريم بوعامر، الهجرة الاندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري ما بين القرن 799هـ/13 و15، رسالة ماجستير في تاريخ الغرب الإسلامي، قسم التاريخ، تلمسان، 2009-2010، ص 69.

الفصل الثاني: المؤسسات التعليمية في الدولة الحفصية (981/627هـ - 1573/1227م)

لمذهب، وهناك نوع آخر وهي التي تكون على ضريح أو تابعة لولي من أولياء الله الصالحين.¹ ومن أشهرها زاوية "سيدي بن عروس"²، وزاوية "سيدي الكلاعي".³

قام الأمير أبي عبد الله محمد ببنائه لزاوية الفندق فوق غابة شريك قبلي جبل زغوان جعلها ملجأ لمبیت الواردين من ناحية تونس أو من ناحية القيروان.⁴

في القرن التاسع تطورت خدمات الزوايا، فأصبحت مكاناً لإيواء المسافرين والغرباء، إضافة إلى كونها مقراً للعلم، ويرجع الفضل في إنشاء هذا النوع من الزوايا إلى عهد السلطان أبي فارس الذي أنشأ الزاوية التي بسيجوم⁵، وجعل فيها جامعاً للخطبة ورباطاً للتعليم وسيماطاً للمقيمين والواردين.

قد لعبت الزوايا دوراً فعالاً في التوعية الدينية والفكرية لدى المجتمع البجائي، كما اتسمت الزوايا بأدوار أخرى إلى جانب التعليم الديني، وتحفيظ القرآن الكريم ونشره، كعملها على نشر اللغة العربية، أو في إنهاء بعض الخلافات الداخلية، كما تخرج منها فقهاء وعلماء الذين ساهموا في نشر الإسلام إلى بلاد البلدان المجاورة.⁶

¹ نورة قطوش ، الوضع الثقافي للدولة الحفصية خلال القرن السابع الهجري ، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ مجلد: 19 ، عدد: 01 ، جوان 2020 ، ص686.

² أبو العباس أحمد ابن عروس: من أولياء الذين يدعون للتصوف، وزاويته جوار جامع حمودة باشا تونس، كانت له مكانة كبيرة عند سلاطين بني حفص، حتى أن بعضهم أوصى بأن يدفن بجوار ضريح سيدي بن عروس سنة 808هـ وعمره 90 عام. ينظر: ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص156

³ محمد بن أحمد بن عبد الله الكلاعي الصوفي : له مؤلفات التصوف في "تحفة الحبيب وأنس اللبيب". ينظر: محمد، محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج3 ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1982، ص172

⁴ الزركشي، المصدر السابق، ص136

⁵ سيجوم: هو مكان السبخة المعروفة بالسيجومي الآن قرب الملاسين من ضواحي العاصمة بها ضريح أحد الأولياء المدعو حسين السيجومي، ويبدو أنها نسبت إليه كما هو واضح من أسمه، وقد خربت من الأعراب، انظر: ابن أبي دينار، المصدر السابق ، ص 146.

⁶ عبد الكريم غزوق، المعالم الأثرية لجاية ونواحيها، رسالة دكتوراه، 2007 - 2008 م، ص 88

2-3- الربط:

أن القوى التي وصلت للسلطة قصرا كالدولة الحفصية، افتقدت المشروعية وتأييد الرعية ولمواجهة هذه المعضلة لجأت إلى الإشراف في تشييد المنشآت الدينية كالمساجد والأربطة...

الرباط¹ في الأصل ثكنة عسكرية اريد بها الدفاع عن تطور المسلمين في المشرق، واما الرباط المغربي فكان الى جانب مهمته الحربية مكانا للعبادة ومعهدا لتدريس بشتى العلوم ولاسيما العلوم الدينية، وكان الرباط من المعاهد تدرس بشتى العلوم ولاسيما العلوم الدينية، وكان الرباط من المعاهد العلمية بالمغرب، وزادت أهميته في عهد المرابطين ثم عهد الموحدين من الوجهتين الحربية والعلمية، وعلى الرغم من ان الربط نشأت في أول أمرها بالمشرق فإن ربط المغرب كانت اكثر نفعا وابعد أثرا في تطور الحياة.²

استطاعت الربط ان تشارك في قيام التقاليد العلمية التي من نتائجها استقلال التعليم بكتب افريقية دون الكتب المشرقية كما ظهرت التصانيف التربوية والطبية، وهذا ما أدى الى الاكتفاء الذاتي العلمي، ولم تعد الهجرة في طلب العلم كما كانت من قبل فقد التقت الاندلس والمغربات الأقصى والوسط وصقلية حول القيروان وجامع الزيتونة ورباط المنستير³ وسوسة⁴، ويتكون المنستير من عدة بيوت من الحجر والطواحين الفارسية وموادل الماء وهو حصن كبير عال متقن العمل، وفي الطبقة الثانية مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل يكون مقصد القوم، وفيه جماعة من الصالحين المرابطين حبسوا أنفسهم فيه منفردين عن الأهل والوطن وفي قبلته

¹ الربط: جمعها ربط والرباط في الاصل اسم حربي للثغر الذي يربط فيه الجنود لمجاهدة العدو، ثم أطلق على الدار التي فيها المتصرفون لمجاهدة النفس وكانت الربط من جملة مواضع التعليم ، انظر: أنور محمود زناتي، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الاسلامية، جامعة عين شمس، المملكة الاردنية، 2011، ص178.

² محمد الأمين بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 1987/1986، ص273.

³ من اشهر مدرسي رباط المستير سحنون بن سعيد التتوخي صاحب المدونة الذي كان يثري الفقه في رمضان من كل سنة، واحمد الجزار القيرواني الذي كان يقرئ الطب ويعالج المرضى في اشهر معلومة من السنة. انظر: محمد زنيير، كيف نشأت التقاليد العلمية بسوس- دور سوس في عهد الفتوح الأول، مجلة البحث العلمي، العدد3، المغرب ، 1964، ص116.

⁴ محمد الأمين بلغيث، المرجع السابق، ص270.

الفصل الثاني: المؤسسات التعليمية في الدولة الحفصية (981/627هـ - 1573/1227م)

حصن فسيح مزار للنساء المرابطات وبه جامع متقن البناء وحمامات أهل القيروان يتبرعون بحمل الاموال إليهم وبقرب المنستير ملاحه يحمل ملحها في المراكب إلى عدة مواضع.¹

كذلك اعتبر المنستير مركز الاشعاع الروحي والتصوف والتجرد لعبادة الله يأتي اليه الفقهاء والزهاد خاصة من القيروان يقضون رمضان فيه ومنهم من يتصرف فيها ثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان يخصصونها لتلاوة القرآن وقراءة الانكار، ومن المتصوفة الذين سلكوا الطريق الرباني وأقاموا طويال فيه نذكر أبا عبد الله محمد بن عبد الله السبائي الجديدي بمكة سنة 786هـ.²

فقد ظهر دور المرابطين البارز في التعليم الشعبي العام، مع ظهورهم في الصحراء حيث غلب الجهل على قبائلها وسكانها من جدالة ولمتونة والمطمة وغيرها، بسبب نقص نشاط التعليم العام في هذه المنطقة الصحراوية، التي غلبت عليها التقاليد المحلية، وفي عهد الموحدين ازدهر هذا النوع من التعليم ازدهارا كبيرا في بلاد المغرب، لأن الحركة التي قام بها الموحدون هي حركة فكرية دينية تجديدية، حرص أصحابها على تعميقها في نفوس أهل المغرب.³ على هذا الأساس حافظ علماء الرباط على الجهاز الثقافي المنسجم الموحد الذي عرفه الإسلام، فهو أداة تعليمية كاملة العدة المعنوية والمادية والتربوية تعمل طيلة وجود الفاتحين في المغرب وبلاد السودان لنشر العربية والإسلام،⁴ وصارت الصحراء بفضل المرابطين وحركتهم الدينية والثقافية مركز الاهتمام.

كما أدى الرباط دور في الحياة الأدبية والعلمية ، فهو اذن معهد ديني وعلمي بالإضافة الى هذه المهمة التربوية، فان البرط في المغرب الإسلامي عبارة عن معاهد لصناعة الحبر

¹ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5 ، دار صادر، بيروت، دط، دس ن، ص209.

² أحمد الطويلي، دراسات في الحضارة العربية التونسية في العهد الحفصي والحسيني، ج5، دار المعارف، سوسة، تونس، دت، ص79.

³ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ، ص340.

⁴ عثمان الكماك، مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، مصر، 1958، ص37.

الفصل الثاني: المؤسسات التعليمية في الدولة الحفصية (981/627هـ - 1573/1227م)

والورق والكلفد لتوزع على الطلبة بالمجان ودار استنساخ للمصاحف ومجامع الحديث وكتب الفقه فالمؤلفون يحسبون تصانيفهم بخطوط أيديهم على الأربطة لتكون منها النسخة الام التي يرجع الى نصها الصحيح وتقابل عليها النصوص المستنسخة ويتولى المرابطون النساخون استنساخا لكثرة عددها وتوزيعها على طلبة العلم حسابا.¹

3-المدارس والمكتبات مركزا تعليميا:

3-1-المدارس:

لقد كان تأسيس المدارس² في العهد الحفصي بهدف تدريس المذهب الموحي الملغي في قاعدة الحكم بالمغرب الأقصى. كما يرتبط تأسيس المدارس كذلك وكما يرى ابن خلدون أن التعليم مرتبط بالعمران البشري، فالإستبصار في التعليم مرتبط بالإستبصار في العمران، فكلما زاد العمران أزداد السوق العلمي إنفاقا³، وكانت المدارس الكبرى في بلاد المغرب يتعدد فيها أساتذة العلم الواحد، مما أدى إلى تعيين رئيس لهم⁴، بالإضافة إلى تلقي الطلبة العلوم مباشرة عن المدرسين والشيوخ، فلقد كانت المدارس تحتوي على مكتبات غالبا ما يوقف منشؤها عليها كتباً، وأول مدرسة أنشأها سلاطين بنو حفص في القرن السابع هجري في الوقت الذي كان الجامع الاعظم يؤدي دوره التعليمي، إذ كان مخصصا لتدريس الكبار ومجالسة العلماء، أما الصغار فكان تعليمهم يقتصر على الكتاب والمساجد⁵. هي المدرسة الشماعية في الثالث الأول من القرن السابع الهجري وهي تقع بسوق البلاغجية في زنقة الشماعيين.⁶

¹ محمد الأمين بلغيث، المرجع السابق، ص284.

² انظر الملحق رقم (6)، ص70.

³ الزركشي، المصدر السابق، ص26.

⁴ ابن مريم، البستان في ذكر الاولياء بتلمسان، مطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص 264.

⁵ عاشور بوشامة، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس (981-626هـ/1573-1228م)، رسالة ماجستير،

قسم التاريخ، جامعة القاهرة، مصر، 1991، ص1.

⁶ سليمان زبيس، حول مدينة تونس العتيقة، وزارة الشؤون الثقافية، تونس، 1981، ص 29.

الفصل الثاني: المؤسسات التعليمية في الدولة الحفصية (981/627هـ - 1573/1227م)

وفي عام 642 هـ أمر الأمير الحفصي أبو زكرياء الثاني ابن السلطان أبي إسحاق بإنشاء مدرسة " المعرضية " وأحضر لها كتباً من كل الفنون العلمية.¹

ثم أنشئت المدرسة المنتصرية سنة 839 هـ في عهد السلطان الحفصي محمد المنتصر إلا أنه مات قبل إكمالها ، فاتمها أخوه أبو عمرو عثمان سنة 841 هـ.²

والمدرسة الحكيمة التي أنشأها حمد بن علي اللخمي لمعروف بابن الحكيم³، ثم أنشئت المدرسة المنتصرية سنة 839 هـ في عهد السلطان الحفصي محمد المنتصر إلا أنه مات قبل إكمالها، فاتمها أخوه أبو عمرو عثمان سنة 841 هـ.⁴ وتم انشاء المدرسة " العصفورية " التي أنشأها ابن عصفور⁵، وكانت حافلة بكبار الأدباء والعلماء.

قد عرفت المدارس ببلاد المغرب عامة النظام الداخلي، فكانت تشتمل على غرف السكني للطلاب الغرباء وللراحة في أوقات الفراغ والخزن الأمتعة، كما زودت بمرافق المياه، كالمراحيض والحمامات⁶. حيث كانت هذه المدارس بيوت لإيواء الفقراء ملحقة بها، كانت توزع على مستحقيها، والعيش هذه المدارس عيش زهد وقناعة، وتعود الإنسان الاعتماد على الذات، فقد كان على الطلاب معالجة غذائهم بأنفسهم وعلى الرغم ما يعانيه الطلاب من الفقراء، إلا

¹ السراج الوزير، (محمد بن محمد الأندلسي)، الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج2، تق وتح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1984، ص158

انظر أيضا: سليمان زبيس، حول مدينة تونس العتيقة، ص 29.

² المرجع نفسه، ص 29.

³ ابن حكيم محمد بن علي اللخمي: قائد جيش الامير أبي بكر وسمي بابن الحكيم نسبة إلى مهنة الطب التي كان يمارسها أبوه، كان قائدا محنكا برز نجمه في احتلال إفريقية الشرقية وولاية إقليم باجة، كما كان ضحية حقد وحسد الحاجب بن تافراكين الذي دبر له مؤامرة جرده من خلالها من أمواله وممتلكاته، توفي سنة 744 هـ، ينظر: شمس الدين، السخاوي، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، ج2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دت، ص261-262.

⁴ سليمان زبيس، المرجع السابق، ص 29.

⁵ ابن عصفور: أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي، ولد بأشبيلية سنة 597 هـ، أديب ونحوي شهير، نزىل تونس، توفي سنة 669 هـ، انظر " أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق، ص 31.

⁶ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 479.

الفصل الثاني: المؤسسات التعليمية في الدولة الحفصية (981/627هـ - 1573/1227م)

أنهم كانوا مقبلين على العلم برغبة وحب وكان الشيوخ يقدمون لهم العون إذا لمسوا منهم الحاجة.¹

قد خصصت السلطة الرواتب والأجور للمدرسين ولكل العاملين في المدارس، كما تكفلت بإعانة الطلبة ماديا وبتحمل جميع نفقاتهم ومصاريفهم، وحرص المشرفون على المدارس على انشاء المكتبات وغمرها بالكتب، لأن المكتبة تعد عصب المدرسة وشرائها، وكانت الكتب فيها تبوب وترتب حسب فنونها وتخصصها، حتى يسهل على الدارس الحصول عليها، وإذا أراد أحد الناسخين نسخ البعض منها، فإن موظفي المكتبة يقدمون له ما يحتاج إليه من أدوات الكتابة كالأوراق والأقلام.²

يعتبر دور المرأة في الدولة الحفصية افضل مما كانت عليه في السابق، فقد أصبح حظها موفورا، ويرجع فضل النهوض بشأنها إلى الأميرات الحفصيات، اللاتي كان لهن الحظ الأوفر والسعي الأكبر في تشييد المدارس، التي انتشر بسببها التعليم للبنين والبنات، وراجت سوق العلم والأدب. ومنها:

المدرسة التوفيقية التي لا تزال موجودة بحي معقل الزعيم بتونس وكانت أول مدرسة مستقلة، أسستها على نفقتها الأميرة (عطف) زوجة أبي زكرياء يحي، مؤسس الدولة، وقد رصع ذكرها أمير شعرائنا المرحوم محمد الشاذلي خزندار بقوله³:

إن غاب شخصك يا ذات الجلال فما	غابت مآثرك البيضاء اياديها
في تونس ظهرت أولى المدارس عن	يديك تستمطر الرحمى لبانيها
مرت بها الناس أجيالا وذكرك في	افواهها يتفشي بالدعا فيها

المدرسة العنيفة: التي لا تزال قائمة الذات بنهج عنق الجمل بتونس. وقد أسستها على نفقتها الأميرة (فاطمة) شقيقة الأمير الحادي عشر "أبي بكر بن أبي زكرياء".⁴

¹ ابن ناجي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج4، ت: محمد الأحمدى أبو النور و ماضور ، 1914، ص111.

² عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص326.

³ احمد بن عامر، المرجع السابق، ص85_86.

⁴ المرجع نفسه، ص86.

الفصل الثاني: المؤسسات التعليمية في الدولة الحفصية (981/627هـ - 1573/1227م)

وكانت المدارس بالمشرق تتصنف إلى ثلاثة أصناف هي :

➤ مدارس حرة وهي التي يرجع الفضل في إنشائها وتمويلها إلى الخواص من العلماء والأعيان.
➤ مدارس شبه رسمية، وهي التي أقامها وحبس عليها بعض الأمراء أو الوزراء أو غيرهم من أعيان الدولة الحاكمة.

➤ مدارس رسمية، وهي التي أمر ببنائها والإنفاق عليها الملوك والسلطين أنفسهم، أنشئت جميعها المقاومة للتشيع في بلاد المشرق لفائدة السنة، بمختلف اتجاهاتها الحنفية والحنبلية والشافعية والمالكية.¹

في بلاد المغرب ككل فقد تأسست أول مدرسة في سبتة سنة (635 هـ/1237)، ولحقها مدينة طرابلس ما بين سنتي (655 - 658 هـ / 1257 - 1260م) في عهد بني حفص بالديار الافريقية المتاخمة للديار المصرية، والبعيدة عن مدينة مراكش عاصمة الموحدين.²

إن هذا النمو الهام الذي سجلته المدارس ليعبر عن مدى التقدم الحاصل في ميدان نشر العلم والمعرفة وذلك بتوفير العدد اللازم من المؤسسات التعليمية المستجيبة بعدد الطلاب المتزايد، ويعكس أيضا أهمية مدينة تونس العاصمة جامعية وكمركز ثقافي.³

3-2- المكتبات مركزا تعليميا:

عرفت بلاد المغرب الادنى نهضة علمية شاملة وذلك من خلال اتضاح الشخصية العلمية الافريقية، ولعب الامراء الحفصيين دورا في ذلك من خلال توفير الوحدة والاستقرار للناس والامن والرخاء، فأتاحوا لكل ما من شأنه أن ينهض بالثقافة الحفصية وترقية البلاد، فعملوا على البناء والتشييد خاصة المراكز العلمية ومن بينها المكتبات.⁴

¹ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 325.

² المرجع نفسه ، ص 325.

³ عبد العزيز الدولاتي، المرجع السابق، ص 140.

⁴ روبر بارنشييفيك، المرجع السابق، ص 384.

الفصل الثاني: المؤسسات التعليمية في الدولة الحفصية (981/627هـ - 1573/1227م)

لقد كانت المكتبات في هذه العصور تحتوي على بعض المخطوطات، بغض النظر عن المكتبات الغزيرة الكتب، في بعض الأحيان والتابعة لبعض الخواص، فإن المكتبات الموجودة في المساجد، والزوايا، والمدارس، كانت تقوم بدور اجتماعي هام، لأنها كانت تساعد على نشر المعارف لدى جمهور أوسع.¹

اشتهرت قصور بعض الامراء بالمكتبات الكبيرة التي احتوت على عدد كثير من الكتب والمخطوطات ومن هذه المكتبات ذكر لنا التاريخ مكتبة القصبة التي أسسها السلطان أبو زكريا يحي سنة (627هـ/1229م²)، وهي تقع بعاصمة تونس مكتبة ضخمة لها بقايا مكتبات الاغلبية والصنهاجيين، وأضاف إلى ذلك كثيرا من الكتب والمؤلفات ويقال أنها كانت تحتوي ستة وثلاثين ألف مجلد وظل خلفاؤه يعنون بجمع الكتب لها، وظل الشيوخ والطالب ينتفعون بكتبها طوال أيام الدولة الحفصية.

كما تأسست شيئا فشيئا بمدينة تونس في أيام أبي العباس وأبي فارس فقد قام السلطان الأخير بتهيئة مكتبة عامة بالمكتبة الهلالية بجامع الزيتونة مشتملة على أمهات الكتب والدواوين والتي جلبها من القصر السلطاني وأودعها في المكتبة وأوقفها على الطلبة ينتفعون منها بالنظر.³ كان لهذه المكتبات دور مهم في تطور الحركة العلمية والفكرية داخل الدولة الحفصية فقد مثلت هذه المكتبات لما احتوت عليه من مجلدات ومخطوطات في شتى العلوم السجل الحافظ والذاكرة الحية لمختلف العلوم وخاصة الدينية منها، لقد نشطت حركة التأليف والتدوين وقد أبدع الكتاب والمفكرين فألفوا الكتب العديدة التي أسهمت بدورها في التقدم الفكري والإزدهار الثقافي في ربوع تلك الامارة، فقد ظهرت كتب عديدة في الدراسات الدينية وفي ميدان التراجم وتدوين الأخبار.⁴

¹ روبر بارنشفيك، المرجع السابق، ص384

² عبد الرحمان حسين العزاوي، المغرب العربي في العصر الاسلامي، دار الخليج، الاردن، ط1، 2014، ص174.

³ محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت -لبنان، 1986، ص596

⁴ عبد الرحمان حسين العزاوي، المرجع السابق، ص156.

الخاتمة

خاتمة:

بعد دراسة معمّقة لجوانب الحياة العلمية والتعليمية في الدولة الحفصية (627هـ/1227م - 981هـ/1573م)، توصلنا إلى جملة من النتائج التي تسلط الضوء على مكانة هذه الدولة في التاريخ الثقافي للمغرب الإسلامي، ويمكن تلخيص أبرزها فيما يلي:

- يعتبر العصر الحفصي من أبرز العصور الإسلامية في بلاد المغرب ، سواء من الناحية السياسية التوسعية، فقد تميز النظام السياسي عند الحفصيين لفترة طويلة بالاستقرار وعدم التنازع عن انتقال السلطة، وحل مشكلات الأسرة الحاكمة في نطاق محدود .
- ازدهرت العمارة في العهد الحفصي وبنوا كثيراً من المدارس والمساجد والربط ، والطرق والقلاع وتأثروا بالفن الأندلسي، ومن الملاحظ أيضاً تفوق العلوم الدينية على كافة العلوم الأخرى ، وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على السياسة الدينية التي انتهجها سلاطين بني حفص منذ قيام دولتهم .
- تعتبر النهضة الثقافية التي شهدها العهد الحفصي سمة مميزة لهذا العهد ، ويعتبر العلامة ابن خلدون الذي شهد العالم أجمع بعبقريته خير شاهد على هذا التطور الثقافي ، وكذلك الإمام الفقيه ابن عرفة الذي أعلنت بلاد المغرب غلق باب الاجتهاد بعد وفاته .
- كان للهجرة الأندلسية أكبر الأثر في رفع مستوى الحياة العلمية والثقافية في تونس بصفة خاصة وبلاد المغرب بصفة عامة، فقد ساهمت بشكل فعّال في تجديد الحقل العلمي والتعليمي بالدولة الحفصية، من خلال استقدام علماء جدد وأساليب تعليم حديثة نسبياً.
- كان لسلاطين بني حفص دوراً مهماً في دفع الحركة الثقافية والأدبية، وذلك بتقريبهم للشعراء والأدباء، وتقليدهم أعلى المراتب في الدولة، كما كان لمهاجري الأندلس دورهم البارز في هذه النهضة الثقافية ،وفي مختلف المجالات الأخرى خاصة المجال

- الاقتصادي، ومعلوم أن الوضع الثقافي لدولة ما هو انعكاس لوضعها السياسي والاقتصادي.
- تميّزت الدولة الحفصية باستقرار سياسي نسبي في فترات معيّنة، مما شكّل مناخًا ملائمًا لازدهار الحياة العلمية والثقافية.
 - كان للأمراء الحفصيين دور بارز في دعم العلماء وتشجيع التعليم، من خلال تأسيس المدارس وتوفير الأوقاف لها.
 - شهدت إفريقية في العهد الحفصي نشاطًا علميًا كثيفًا، بفضل وفود العلماء من الأندلس والمشرق، مما أضفى تنوعًا وغنى معرفيًا.
 - اتّسمت بنية التعليم في الدولة الحفصية بالتدرج المنهجي، انطلاقًا من التعليم الشعبي فالاحترافي، وصولًا إلى التعليم العالي.
 - اعتمد التعليم الحفصي على ثلاث مراحل رئيسية: ابتدائية، ثانوية، ثم مرحلة المشيخة التي تؤهل الطالب ليصبح عالمًا أو فقيهًا.
 - كانت طرق التدريس شفوية في غالبيتها، تعتمد على الحفظ، التلقين، والمناقشة، مع دور محوري للمجالس العلمية.
 - لعبت الإجازة العلمية دورًا مهمًا في توثيق العلاقة بين الطالب والأستاذ، وكانت شهادة علمية معترفًا بها في الأوساط العلمية.
 - مثلت المساجد مراكز تعليمية أساسية، حيث جمعت بين الوظيفة الدينية والعلمية، وخاصة في مجال تعليم العلوم الشرعية.
 - أظهر التعليم في الدولة الحفصية مرونةً في الانتقال بين المراحل التعليمية، دون وجود قيود بيروقراطية، مما سمح للطلاب بالتدرّج حسب قدراته واستعداداته.
 - لعبت الأوقاف دورًا حاسمًا في تمويل المؤسسات التعليمية، سواء كانت مدارس أو زوايا، ما ضمن استمراريتها واستقلاليتها عن تقلبات الحكم.

- اتسمت الحياة العلمية الحفصية بالتكامل بين الدين والعقل، حيث لم تُقَصِّ العلوم العقلية بل شجعتها، خاصة في الفلسفة والمنطق والرياضيات.
- تدل كثافة الإنتاج العلمي في العهد الحفصي على وجود بيئة معرفية نشطة، قوامها المؤسسات والمنهج والعالم والمتعلم، وهو ما يشهد له الكم الكبير من المؤلفات والشروح التي تعود إلى تلك المرحلة.

الملاحق

الملحق رقم (1): خريطة المغرب العربي بعد الموحدين (قيام الدولة الحفصية)¹



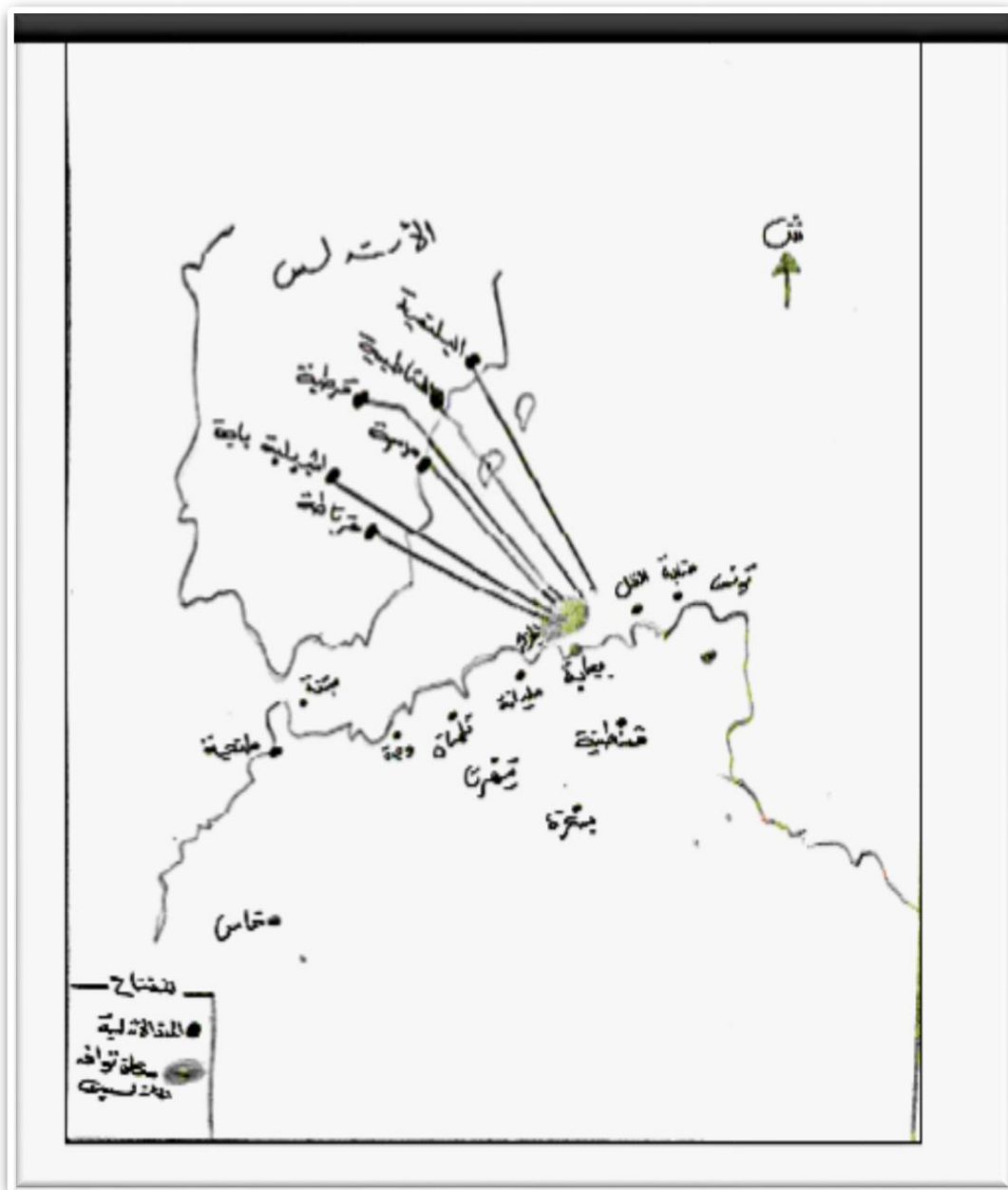
¹ أبو خليل شوقي، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دمشق - سوريا، ط5، 2002، ص84.

الملحق رقم (2) : راية الدولة الحفصية:¹



¹ عادل أنور أخضر، أطلس تاريخ الجزائر، مر: ناجي يحي، دار الشروق العربي، الجزائر، د ت، ص 78.

الملحق رقم(3) : مواطن الهجرة صوفية الاندلس الى بجاية :¹



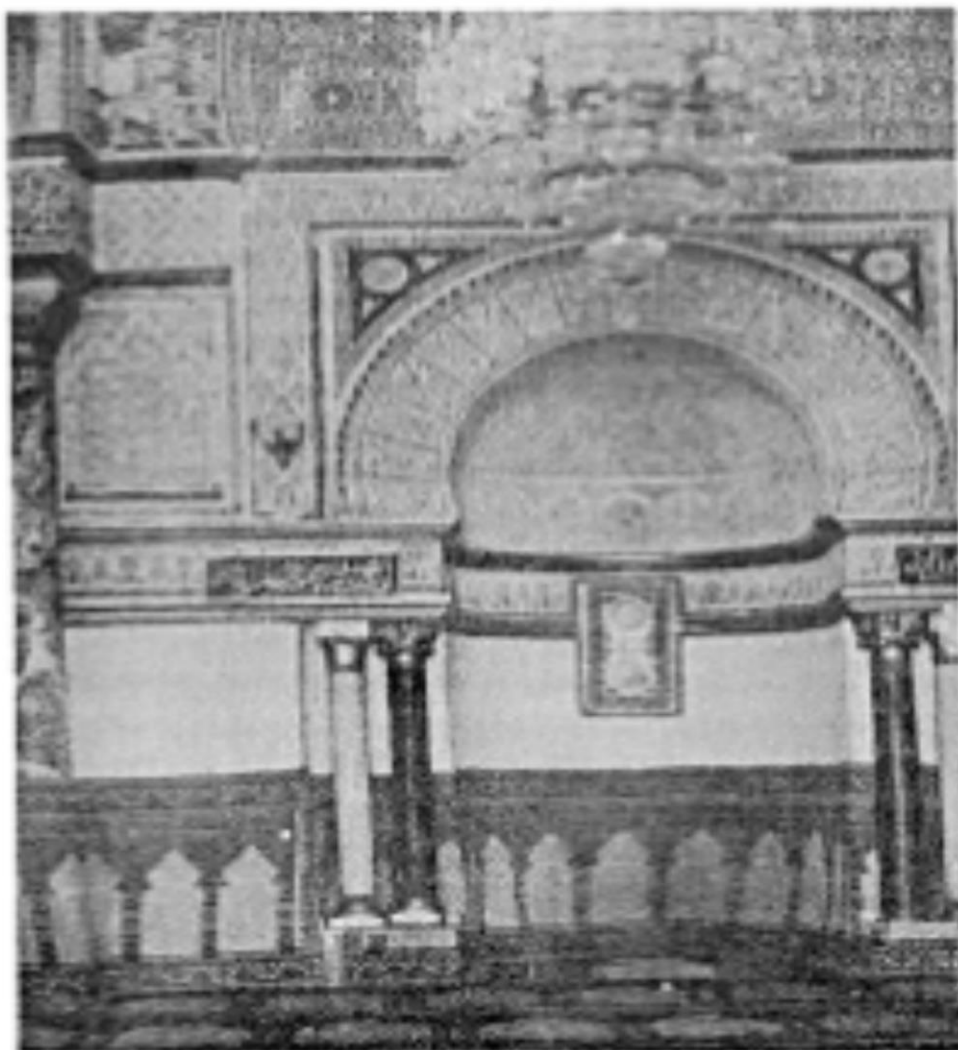
¹ عائشة ناصر، هناء صحراوي، المرجع السابق ، ص87.

الملحق رقم (4) : مسجد القصبة - تونس:¹



¹ محمد لعروسي المطوي، المرجع السابق، ص 127.

الملحق رقم (5): جامع الزيتونة - تونس: ¹



محراب جامع الزيتونة

291

¹ محمد بن حوجة، صفحات من تاريخ تونس، المرجع السابق، ص 291.

الملحق رقم (6): مدارس الدولة الحفصية:¹

المدرسة المنتصرية: تونس



المدرسة الشماعية : تونس

¹ محمد لعروسي المطوي، المرجع السابق، ص 560-585.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- 1- أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي، رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1985م.
- 2- ابن مريم عبد الله محمد بن محمد بن أحمد، البستان في ذكر الاولياء بتلمسان، مطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.
- 3- ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1967.
- 4- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت 2000م.
- 5- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، تح: ابي عبد الرحمان عادل بن سعد، الدار الذهبية، القاهرة، مصر، 2006.
- 6- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج1، دار الثقافة، بيروت، 1967.
- 7- ابن غرغون، الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، تح: محمد الاحمدي أبو النور، دار التراث العربي، القاهرة، 1972.
- 8- ابن ناجي التتوخي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج4، ت: محمد الأحمدى أبو النور وماصور، 1914.
- 9- أبو عبد الله الشماع محمد بن محمد بن احمد، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984.
- 10- أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970.

- 11- البكري أبي عبيدة، المسالك والممالك، ج2، تح: أدريان فان لوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، 1992.
- 12- بن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، مج1، دت.
- 13- بن الخوجة محمد، صفحات من تاريخ تونس، ترجمة: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986.
- 14- بن الخوجة محمد، معالم التوحيد، المطبعة التونسية، تونس، 1939/1358.
- 15- الدولاتلي عبد العزيز، مدينة تونس في العهد الحفصي، تح: محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتي، ط1، دار سراس للنشر، تونس، 1981.
- 16- الزركشي أبو عبد الله محمد، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح و تع: محمد ماضور، دار الكتب العتيقة، تونس، 2002.
- 17- السخاوي شمس الدين، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، ج2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دت.
- 18- السراج الوزير، (محمد بن محمد الأندلسي)، الحل السندسية في الأخبار التونسية، ج2، تق وتح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1984.
- 19- العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى، مسالك الابصار القطعة المنشورة في ورقات عن الحضارة المغربية للمنوني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000.
- 20- الغبريني أبو العباس، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ط2، تح: هادل نويهض، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، 1979.
- 21- القسنطيني ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ت: محمد الشاذلي النيفر و محمد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1948.
- 22- محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، تح: محمد العروسي المطوي، تح: حسن حسني عبد الوهاب، تونس، 1972.

23- محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، تح: محمود عبد المولى، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981.

24- مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية التتمة، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ.

25- المغراوي أبو العباس، جوامع الاختصار والتبيان، تح: احمد جلولي و رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.

26- المقرئ شهاب الدين، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: البيهقي، ط، بيروت، دار الفكر للطباعة، 1998.

ثالثا: المراجع:

1- أبو عامر أحمد، الدولة الحفصية صفحات خالدة من تاريخها المجيد، دار الكتب الشرقية، تونس، 1974.

2- الأهواني فؤاد، التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابسي، القاهرة، 1955.

3- برنشتيفيك روبر، تاريخ افريقية في العصر الحفصي من القرن 13م الى نهاية القرن

15م، تع: حمادي الساحلي، ط1، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1988.

4- التليسي رمضان بشير، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب خلال القرن 4هـ/10م،

دار المدار الاسلامي، لبنان، 2003.

5- التبتكي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة،

منشورات دار الكاتب، طرابلس، 2000.

6- الحسن إسكان، جوانب من تاريخ التعليم في المغرب الوسيط بين القرن (7- 9 هـ)، ع

كلية الآداب جامعة محمد الخامس، الرباط، 1988.

7- حلاق حسان، مدن وشعوب اسلامية، دار الراتب الجامعية سوفنير، د ن، د ط، د

سن.

- 8- حمادي عبد الله، دراسات في الادب المغربي القديم، دار البعث، الدار البيضاء، دت.
- 9- زبيس سليمان، حول مدينة تونس العتيقة، وزارة الشؤون الثقافية، تونس، 1981.
- 10- سامعي إسماعيل، معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
- 11- السرجاني راغب، قصة تونس من البداية إلى ثورة 2011، ط2، دار الأقلام للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2011.
- 12- شترة خير الدين، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956م، دار البصائر، دم ن، طبعة خاصة، 2009.
- 13- الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال، دار سواس، 1993.
- 14- شلبي أحمد، تاريخ التربية الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1973.
- 15- الطاهر الحداد، التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة، تق وتح: محمد أنور بوسنينة، الدار التونسية، 1981.
- 16- الطويلي أحمد، دراسات في الحضارة العربية التونسية في العهد الحفصي والحسيني، ج5، دار المعارف، سوسة، تونس، دت.
- 17- الطويلي أحمد، دراسات في الحضارة العربية التونسية في العهد الحفصي والحسيني، دار المعارف، سوسة، تونس، د ط.
- 18- الطويلي أحمد، في الحضارة العربية التونسية، منشورات المعارف للطباعة والنشر، سوسة / تونس، دت.
- 19- العامري محمد، تاريخ المغرب الإسلامي والاندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1980 .

- 20- العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعة، الإسكندرية، 2001.
- 21- العزاوي عبد الرحمان حسين، المغرب العربي في العصر الاسلامي، دار الخليج، الاردن، ط1، 2014.
- 22- فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002
- 23- الكعاك عثمان، مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، مصر، 1958.
- 24- مارمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الربير، ج3، دار المعرفة، الرباط، 1988-1989م.
- 25- المطوي محمد العروسي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت -لبنان، 1986.
- رابعا: المجلات والدوريات:
- 1- بلعربي خالد، مساهمة الجالية الاندلسية في الحركة العلمية بتلمسان خلال العهد الزياني، مجلة دراسات، جامعة بشار، العدد 5، 2014.
- 2- زنيبر محمد، كيف نشأت التقاليد العلمية بسوس- دور سوس في عهد الفتوح الأول، مجلة البحث العلمي، العدد3، المغرب، 1964.
- 3- سيعبد القادر عمر، الرحلة الداخلية في المغرب الإسلامي واثرها في اودهار الحياة العلمية من القرن 7 الى 9 هـ 13-15م، مجلة روافد، العدد الأول، جوان، 2017.
- 4- قطوش نورة، الوضع الثقافي للدولة الحفصية خلال القرن السابع الهجري "المواقف، المجلد: 19، العدد: 01، جوان 2023.

5- نميش سميرة، الحركة العلمية بدولة بني حفص ق108هـ/13/16م، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 05، العدد 11، سبتمبر 2017.

خامسا: المذكرات والرسائل:

1- بلغيث محمد الأمين، الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 1986/1987.

2- بوشامة عاشور، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والاندلس (626-981هـ/ 1228-1573م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، مصر، 1991.

3- بوعامر مريم، الهجرة الاندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري ما بين القرن 13 و 15هـ، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، تلمسان، 2009/2010.

4- رشيد يمانى، الإنتاج الفكري في الثغر الأدنى الأندلسي خلال القرن 7 و 8 الهجريين، رسالة ماجستير في تاريخ الغرب الإسلامي، قسم التاريخ، تلمسان، 2009/2010م.

5- الشتيوي أحمد، مظاهر الحضارة من خلال رحلات المغاربة والأندلسيين وثقافتهم بين القرنين السادس والثاني عشر الهجري (12-18)، دكتوراه دولة كلية الآداب، جامعة تونس، 1988.

6- غزوق عبد الكريم، المعالم الأثرية لبجاية ونواحيها، رسالة دكتوراه، 2007-2008.

7- المسعودي مبطي جميلة، المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621هـ وحتى ينة 893هـ، رسالة ماجستير، قسم الدراسات التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 2000.

سادسا: المعاجم و القواميس:

- 1- أبو خليل شوقي، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دمشق - سوريا، ط5، 2002.
- 2- الحموي ياقوت، معجم البلدان، ج5، دار صادر، بيروت، دط، دس ن.
- 3- زناتي أنور محمود، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة عين شمس، المملكة الاردنية، 2011.
- 4- عادل أنور أخضر، أطلس تاريخ الجزائر، مر: ناجي يحي، دار الشروق العربي، الجزائر، د ت.
- 5- محفوظ محمد، تراجم الملؤلفين التونسيين، ج3، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1982.

الصفحة	الموضوع
	الاهداء
	الشكر والعرفان
أ	مقدمة
7	مدخل التمهيدي: الحياة العلمية في الدولة الحفصية (981/627 هـ - 1573/1227 م)
08	1 الدولة الحفصية وتطورها التاريخي:.....
08	1-1 نشأة الدولة الحفصية.....
10	2-1 الحدود الجغرافية للدولة الحفصية.....
11	3-1-أوضاع الدولة الحفصية منذ التأسيس الى السقوط.....
14	2-عوامل ازدهار الحياة العلمية بدولة بني حفص:.....
16	2-1-تشجيع الامراء الحفصيين للعلماء ورعايتهم.....
15	2-2-توفر المكتبات.....
15	2-3-الهجرة الاندلسية للمغرب.....
16	3-الحياة الادبية والعلمية عند الحفصيين:.....
16	3-1- دور الائمة الحفصيين في نشر اللغة العربية و التعليم.....
18	3-2-العلوم النقلية عند الحفصيين.....
20	3-3-العلوم العقلية عند الحفصيين.....
	الفصل الاول: التعليم في الدولة الحفصية (981/627 هـ - 1573/1227 م)
	1-أنواع التعليم:
23	1-1-التعليم الشعبي.....
25	1-2-التعليم الاحترافي.....
	2-مراحل التعليم:

26	1-2- المرحلة الأولى (الابتدائية).....
28	2-2- المرحلة الثانية (الثانوية).....
30	3-2- المشيخة.....
	3- نظام التدريس و الاجازة العلمية :
32	1-3- نظام التدريس.....
35	2-3- طرق ومناهج التدريس.....
37	3-3- الاجازة العلمية.....
	الفصل الثاني: المؤسسات التعليمية في الدولة الحفصية (981/627هـ -1573/1227م)
	1- المساجد و الكتاتيب:
41	1-1- المساجد.....
43	2-1- الكتاتيب.....
	2- الزوايا والربط:
45	1-2- الزوايا.....
47	2-2- الربط.....
	3- المدارس و المكتبات مركزا تعليميا:
49	1-3- المدارس.....
52	3-2- المكتبات " مركزا تعليميا.....
55	خاتمة
59	الملاحق
66	قائمة المصادر والمراجع.

الملخص:

تناولت هذه المذكرة دراسة وتحليل واقع التعليم ومؤسساته في الدولة الحفصية (981/627هـ-1573/1227م)، مبرزة دوره المحوري في ازدهار الحياة العلمية والثقافية في بلاد المغرب الإسلامي. وقد ركزت على أنواع التعليم السائدة آنذاك، من تعليم شعبي موجّه لعامة الناس إلى تعليم احترافي خاص بالعلماء والمتخصّصين، مبيّنة مراحلها الأساسية: الابتدائية، الثانوية، ومرحلة المشيخة التي تتوج بالإجازة العلمية. كما تناولت بالتفصيل البنية المؤسسية للتعليم، ممثلة في المساجد، الكتاتيب، الزوايا، الربط، والمدارس، ودور المكتبات الكبرى في نشر المعرفة. وأبرزت المذكرة دور الأمراء الحفصيين في رعاية العلماء وتشجيع البحث العلمي، وتأطير الهجرة الأندلسية في إثراء الحركة العلمية، وخلصت إلى أن الدولة الحفصية رغم ما عرفت من اضطرابات سياسية، استطاعت أن تؤسس نظاما تعليميا متكاملا جعل من تونس مركزا بارزا للإشعاع الحضاري والعلمي في العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط.

الكلمات المفتاحية: التعليم، المؤسسات، الدولة الحفصية، المغرب الأدنى.

This memorandum examines and analyzes the reality of education and its institutions during the Hafsid dynasty (627/981 AH - 1227/1573 AD), highlighting its pivotal role in the flourishing of scientific and cultural life in the Islamic Maghreb. It focuses on the types of education prevalent at the time, from popular education directed at the general public to professional education for scholars and specialists, outlining its basic stages: primary, secondary, and the sheikhdome stage, which culminates in a scholarly license. It also discussed in detail the institutional structure of education, represented by mosques, kuttab, zawiyas, ribats, and schools, and the role of major libraries in disseminating knowledge. The memorandum highlighted the role of the Hafsid princes in sponsoring scholars, encouraging scientific research, and guiding the Andalusian migration to enrich the scientific movement. It concluded that the Hafsid state, despite the political turmoil it experienced, was able to establish a comprehensive educational system that made Tunisia a prominent center of cultural and scientific influence in the Islamic world during the Middle Ages.

